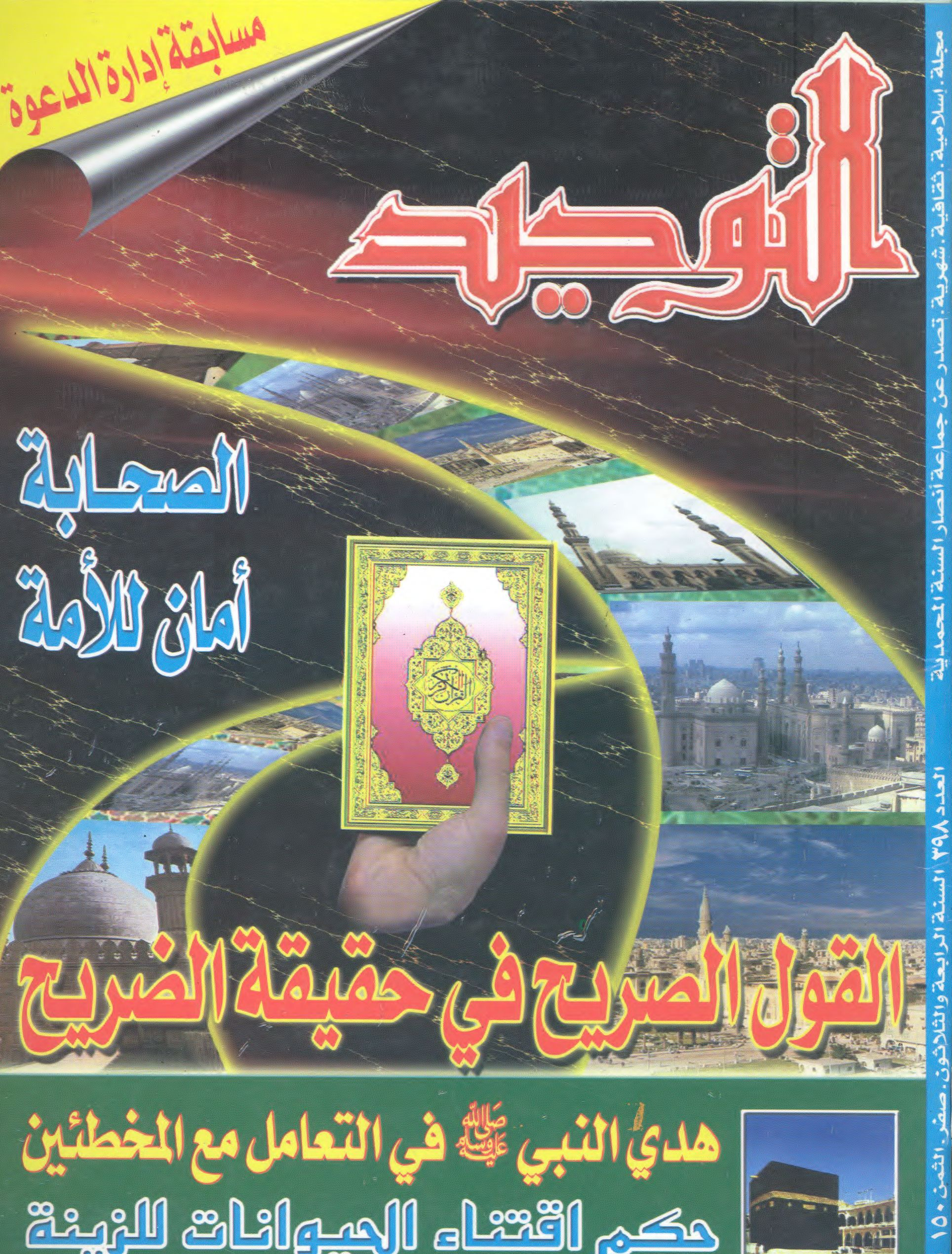
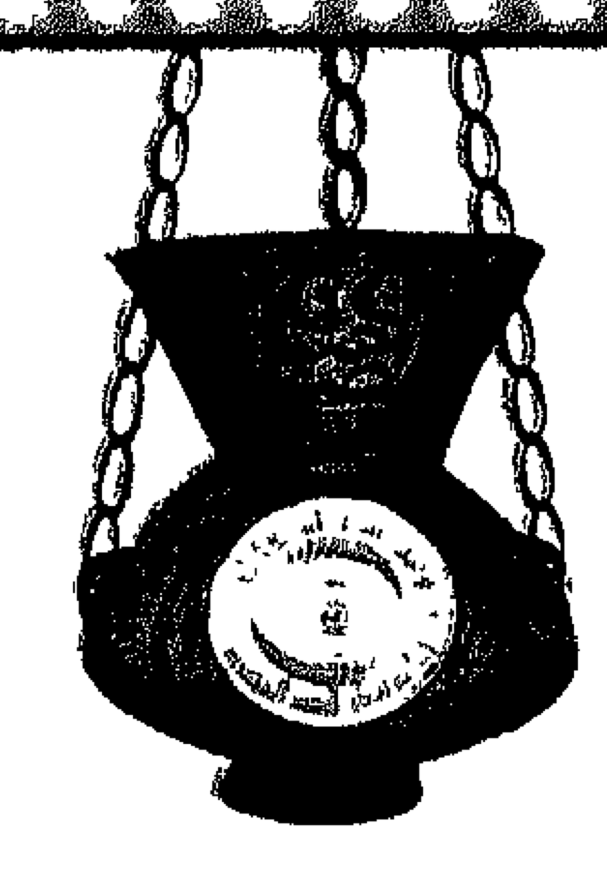


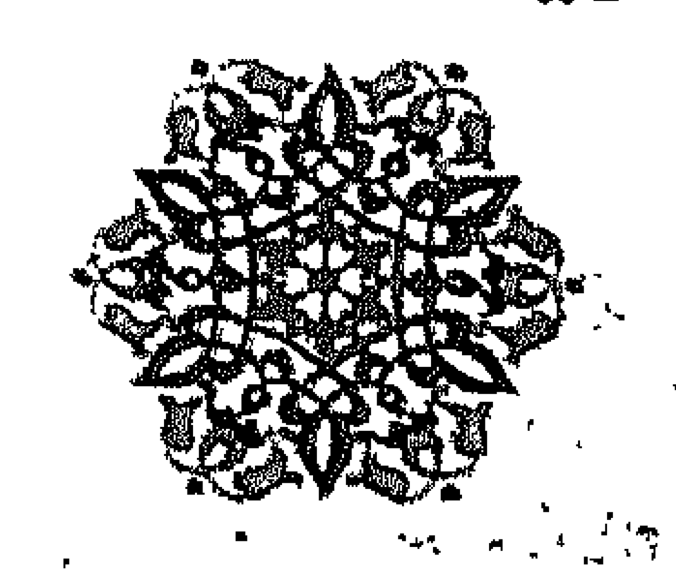
مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٣٩٨ السنة الرابعة والثلاثون صفر الثمن ١٥٠ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة الرابعة والثلاثون
العدد ٣٩٨ - صفر ١٤٢٦هـ
الثمن ١٥٠ قرشًا



السلام عليكم

رب واحد أم أقارب

لما غزا الأمريكان العراق البلد المسلم ودمروا وخربوا تظاهر الأوربيون كفرنسا وغيرها بأنهم لا يوافقون على مثل هذا، فقال البعض عنهم: أصدقاء ومحترمون، ولما علت صيحة الحق من القرآن المجيد ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٨]، قال البعض: لا داعي للتشاؤم.

وها هو الاتحاد الأوربي اليوم مع أمريكا تتفق كلمتهم ويقفون صفا واحدًا رافضين الاتحاد بين دولتين مسلمتين هما سوريا ولبنان وملوحين بضرب إيران، ولن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون ملتهم ويخضعوا لإذلالهم، فهل يصدق المسلمون ربهم أم يصدقون عدوهم؟

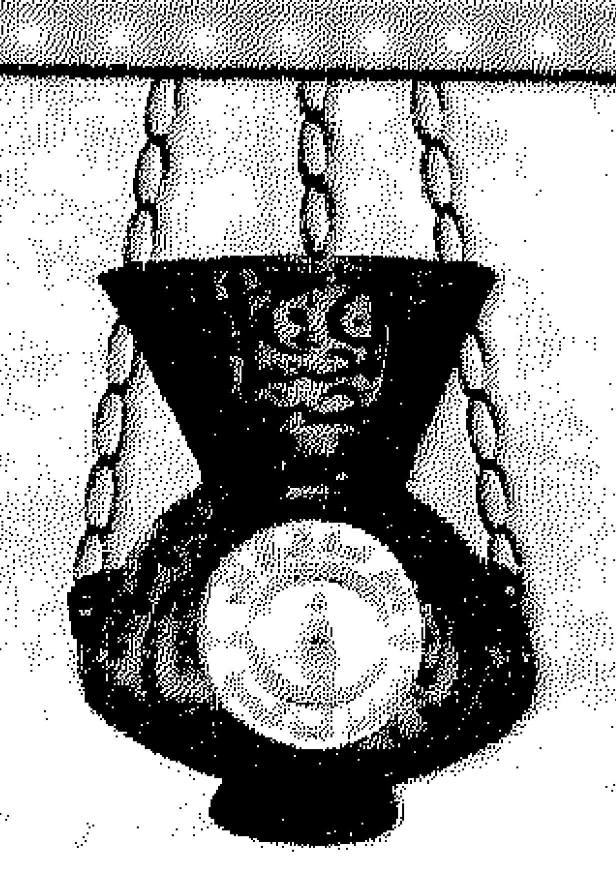
قال ربنا جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾. [آل عمران:١٠٠]

التحرير

البريد الإلكتروني
المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).

٢ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



المركز العام : القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين


هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع التجارية ـ قليوب ـ مصر



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن أصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة وأبرها قلوبًا، زكاهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠- ١٠].

والآيات في فضلهم كثيرة، وكل فضيلة اختصت بها هذه الأمة فهم أولى الناس بها لأنهم كانوا المشافهين بالخطاب والمختصين به، ومن بعدهم تبع لهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فأصحاب رسول الله ﷺ خير قرون الأمة على الإطلاق، ولا يثبت الفضل ولا الخيرية لمن بعدهم إلا بقدر متابعتهم لهم.

ورسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة فيقول: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته». متفق عليه.

فجيل الصحابة هو خير أجيال هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ، وهم أمان للأمة من البدع والضلالات والفتن، والضعف والتخاذل، والذل، وتكالب الأمم عليها، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد من حديث أبي موسى الأشعري قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: أحسنتم أو أصبتم. قال: فرفع رأسه إلى السماء- وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء- فقال: النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون. مسلم ك فضائل الصحابة.

وكان من ثمرة هذا الأمان حفظ الدين ونقل القرآن والسنة وحسن الفقه في دين الله، ورفع راية الجهاد وفتوح البلدان، وعز الإسلام، ونبذ البدع وأهلها مما عانت الأمة بعد ذلك من فقده بعد قرون الخيرية الأولى قرن الصحابة ومن جاء بعدهم، وقد أكد النبي ﷺ على علاقة الصحابة بفتوح الإسلام فقال: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من رأى مَنْ صَحِبَ رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «فيوجد الرجل، فيفتح لهم به».

من هو الصحابي؟

قال البخاري: ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، وهذا هو المشهور عند أهل السنة والحديث اعتبار الرؤية ومن العلماء من اشترط لثبوت الصحبة ملازمة النبي ﷺ فترة زمنية تعرف بها صحبته، وهذا رأي علماء الأصول، وكان سعيد بن المسيب لا يَعُد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدًا، أو غزا معه غزوة فصاعدًا، ومن هنا قال عاصم الأحول: رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ، غير أنه لم يكن له صحبة، مع أن عاصمًا روى عن عبد الله عدة أحاديث ومن جملتها أن النبي ﷺ استغفر له. ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية أو من اجتمع به لكن فارقه عن قرب، كما جاء عن أنس أنه قيل له: هل بقي من أصحاب النبي ﷺ غيرك؟ قال: لا، مع أنه كان في ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب من أحداث الصحابة.

والقول الأول قول البخاري وأحمد وجمهور المحدثين، فإنهم اتفقوا على عد جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع.

بدعة سب الصحابة:

وقد ظهرت هذه البدعة قديمًا بسبب الخلاف والقتال الذي نشب بين المسلمين في الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وقد أخذت هذه البدعة مظهرين:

الأول: ما فعله بعض خلفاء بني أمية من سب علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وربما جعلوا ذلك على المنابر، وقد أبطل هذه البدعة عمر بن عبد العزيز، روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن معاوية قال له: ما منعك أن تسب أبا تراب. فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم وذكر بعض فضائل علي رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين. [مسلم ك فضائل الصحابة- ب من فضائل علي رضي الله عنه]

الثاني: ما فعله أهل البدع من الخوارج والروافض من سب أعيان الصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم، وقد حمل الروافض لواء هذا اللعن إلى يومنا هذا فعليهم من الله ما يستحقون، زعموا أنهم على مذهب آل بيت رسول الله ﷺ فنالوا من صحابته وتبنوا مذهب الوقيعة بين الصحابة وبين آل بيت النبوة ففرقوا بذلك بين الأمة وجعلوها شيعًا وأحزابًا، وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب أصحابه فقال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». [متفق عليه]

والمد: ما يملأ الكفين من الطعام، ونصفه ما يملأ اليد الواحدة.

وذكر مسلم أن سبب الحديث ما كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف من خلاف، فسبه خالد، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي».

وأخرج الحاكم عن عويم بن ساعدة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه

الذهبي، لكن ضعفه الألباني في ظلال الجنة.

ومع هذا فإن بعض المنتسبين لأهل السنة شكلاً يقولون ببعض مقالة الشيعة ويسبون بعض أصحاب النبي ﷺ اعتمادًا منهم على بعض روايات الإخباريين التي حوتها كتب التاريخ دون أن يمحصوا هذه الروايات.

وكتاب الفتنة الكبرى لطه حسين خير دليل على هذا المنهج المتخبط، وقد تجرأ بعض القصاصين على هذا النهج في الآونة الأخيرة.

فتجرأ بعضهم ونال من بعض الصحابة، فهذا رئيس تحرير جريدة الوفد السابق جمال بدوي يتهم ابن عباس رضي الله عنه بالسرقة واختلاس بيت مال المسلمين اعتمادًا على رواية لا إسناد لها عند الطبري في التاريخ، مع أن الطبري ذكر ما ينفيها، وهذا كاتب مسلسلات يصف عمرو بن العاص بكلام ينبو القلم عن نقله، ولو قال بعض هذا الكلام في شخصية معاصرة لتعرض للمحاكمة بتهمة السب والقذف، ولكنه زمن اجترأ وتجرأ فيه سفلة الناس على من زكاهم الله في كتابه وزكاهم رسول الله ﷺ في صحيح السنة وأجمعت الأمة على فضلهم وعدالتهم.

المفاضلة بين الصحابة

وأصحاب رسول الله ﷺ ليسوا في درجة واحدة في الفضل، فمنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومنهم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومنهم من تبعهم بإحسان، وأنفق من بعد الفتح وقاتل.

والذي عليه أهل الحق أن خير الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وهم سعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهم جميعًا من السابقين الأولين.

ثم بعد ذلك أهل بدر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً قال عنهم رسول الله ﷺ: «لعل الله اطلع على قلوب أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». متفق عليه.

وقال عن حاطب بن أبي بلتعة: «لا يدخل النار فإنه قد شهد بدرًا والحديبية». متفق عليه.

ثم من بعد ذلك أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة في الحديبية وأنزل الله تعالى في حقهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها».

فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم]، والحديث متفق عليه.

ثم بعد ذلك سائر الصحابة يشملهم اسم الصحبة، ويلحقهم فضل الصحبة الثابت في الكتاب والسنة، وقد روى مسلم عن الحسن البصري أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال له: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن شر الدعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فما أنت إلا من نخالة أصحاب محمد رسول الله ﷺ.

فقال: وهل كانت لهم نُخالة، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم. مسلم ك الإمارة ب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

موقف المسلم من الفتنة والقتال الذي دار بين الصحابة

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منّ الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وإنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

كلمة التحرير

أمة استحكمت عليها النوازل

إعداد
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: وبعد:

مع اشتداد النوازل، وتدبير المؤامرات والكيد للإسلام تثبت الأحداث أن ضعف شوكة الأمة ووهنها في قلوب أعدائها، ما هو إلا نتيجةٌ مباشرة لبعدها عن المنهج الصحيح من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، فكان من أثر ذلك ظهور البدع وسعة تكاثرها ونموها، بل وإخماد كثير من السنن وإماتتها، فراجت البدع العقدية والتعبدية بين المفرطين من أبناء الأمة فحل بهم الوهن والضعف، وتكالبت عليهم المصائب وكثرت المؤامرات، وازدادت شوكة الأعداء ضراوة، من الداخل والخارج ما بين مدَّعي الإصلاح والديمقراطية الزائفة، وما بين المتنطعين الذين يلهثون لتنفيذ أوامر الأعداء.

ولقد طال الإسلامَ نصيبُ الأسد من هذا العداء، فقد حرص الأعداء واستماتوا في رفع راية المعارضة وطعن قلب المجتمع الإسلامي، فلا تكاد فتنة تخبو حتى تقوم فتنة أخرى، يحرك ذلك ويقوده العداء المتأصل للإسلام والمسلمين.

وإذا كان المتشدقون بالإصلاح والديمقراطية المزعومة اليوم يحاولون عبثًا إيهام العالم بأنهم ملائكة الرحمة وأنهم هم المصلحون، وأن سبيلهم هو سبيل النجاة، فإن سبيل الإصلاح الحقيقي يكمن في منهج الأنبياء والمرسلين بعيدًا عن زيف أمريكا ومن عاونهم ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

مناهج الإصلاح.. وفقدان البصيرة

لقد فقدت مناهج أدعياء الإصلاح في الداخل البصيرة لذلك فقد داخلها كثير من الخلل، وكان من سلبيات مناهجهم التعصب المقيت لقادتهم ومنظريهم حتى أصبحت عدالة الشخص وجرحه مرهونة بمحبته لمنظره أو بغضه. وفي ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يكون أصل مقصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ﷺ يدور على ذلك ويتبعه أين وجده، وأن يعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا عامًا مطلقًا إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصارًا عامًا مطلقًا إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فإن الهدى يدور مع رسول الله ﷺ حيث دار ويدور مع أصحابه حيث داروا» [منهاج السنة ٢٦٠-٢٦١]

إن ضرر هؤلاء على العامة وغيرهم ضررٌ عظيم، وعاقبته وخيمة؛ لأنهم يتكلمون باسم الغَيْرةِ على الإسلام فَيَغْتَرُّ بهم المتعصبون لهم والدهماء من الناس.

وقد قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تُركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم، إذا

كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق.....»، ففي ذكرهم وكشف عوارهم وخطئهم مصلحة للمسلمين يهون ويصغُر عندها الضرر الحاصل بذكر أولئك وخطئهم.

إنَّ دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه وأمر به الناس أجمعين، فبعث رُسُلَهُ وأنزل كتبه لتوحيده وعبادته، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، ولقد بلَّغ أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه رسالة ربهم أتم بلاغ وأوضحه، وكان خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ فقد بلغنا رسالة ربه، وأقام الحجة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته.

ولقد كان المسلمون في أول أمرهم يقتفون أثر نبيهم ﷺ لا يحيدون عن ذلك، باتباع النصوص الشرعية وبخاصة في الأمور العقدية، فيتأكد ذلك في أمور الغيبيات التي لا بد فيها من رسوخ قدم التسليم والاستسلام، وعدم الخوض فيما أخفى الله عنهم أمره، وقصر عنه إدراكهم، فكان منهجهم في تلك الأمور وغيرها كما قال تعالى: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] فكانوا كما وصفهم الله تعالى: بقوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

العلمانيون.. وأصحاب الأهواء

وليس ببعيد ما يصدر عن العلمانيين وأصحاب الأهواء والمشارب الخبيثة في مركز ابن خلدون وغيره ممن يكنون للإسلام والمسلمين حقدًا دفينًا ما بين دعوة إلى تغيير المناهج وحذف السنَّة وإعمال العقل بدلا منها، حتى أصبحت عقولهم قائدة والنصوص مقودة!! وأصبحت عقولهم حاكمة والنصوص محكومة!! فضلوا وأضلوا كثيرًا عن سواء السبيل، فقد جلبوا على الأمة شرًا مستطيرًا، وكثر للأسف سوادهم، وأصبحت النصوص الشرعية مرتعًا خصبًا لعقولهم العفنة، يثبتون ما شاءوا، وينفون ما شاءوا، ويتأولون ما شاءوا ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان:٤٣-٤٤].

ومعَ اشتداد حملة هؤلاء المارقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين فإن الله سبحانه يقيضُ لهم من يتصدى لهم ويُفند أباطيلهم والله تعالى يحفظ دينه فكان ذلك مصداقًا لقول رسولنا الأمين ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» [أخرجه الشيخان].

ولا زال للمبتدعة أذنابٌ وأنصارٌ ألبست تلك المذاهب الباطلة ثوبًا يخدع الناظرين، وليس هذا بغريب فأهل الشر يتفانون في نشر مذهبهم بشتى الوسائل والطرق.

والغريب بل والمبكي أن تتبنى بعض المناهج الإصلاحية الدعوية نصرة بعض البدع العقدية وغيرها.

ابتلاءات تستوجب الصبر

إن ما يحدث للمسلمين في الداخل والخارج لهو ابتلاء يستوجب الصبر والعود السريع إلى الله سبحانه فإذا كانت الطعنات من الداخل

إن ما يحدث للمسلمين في الداخل والخارج لهو ابتلاء يستوجب الصبر والعود السريع إلى الله سبحانه.. وإصلاح حقيقي نابع من التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تضرب المسلمين في عقيدتهم فإن الأعداء في الخارج ليسوا أقل ضراوة فهذا «البير لسكوني» رئيس الوزراء الإيطالي يصرح لإذاعة «راي» الإيطالية قائلا: إن على الدول العربية أن تخرج من العصور الوسطى - على حد تعبيره - وتحذو حذو العراق الذي أجرى أول انتخابات متعددة الأحزاب منذ عقود!!

وأضاف بير لسكوني قائلا: «إن هذه الانتخابات يمكن أن تحدث تأثيرًا إيجابيًا في جميع الدول العربية الأخرى حيث الحكم المطلق وعدم حرية المرأة وضياع الكرامة وحيث يتعين اتخاذ المزيد من الخطوات للخروج من العصور الوسطى، والتخلي عن أشكال الحكومات التي لا تتسم بأي نوع من الديمقراطية - على حد قول بائعي الوهم -.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يتطاول فيها بير لسكوني بتعليقاته على الأمتين العربية والإسلامية متهما العرب والمسلمين بالتخلف، فبعد أسابيع من هجمات سبتمبر على الولايات المتحدة أثار بير لسكوني عاصفة من الاحتجاجات الدولية بعد أن أشاد بتفوق الحضارة الغربية على الإسلام.. وفعلا إذا لم تستح فاصنع ما شئت!!

الأصابع الأمريكية واليهودية ضالعة فيما يحدث في لبنان من محاولة ضرب الوحدة وزعزعة كيان الدولة وتقزيمها والضغط عليها حتى تخلو الساحة لعبث اليهود والأمريكان

حاخام يهودي يصب النار على رؤوس العرب

قال الحاخام اليهودي العنصري «دافيد بقاعي»: «العرب يبحثون عن الجشع الجنسي والكحول، لا يمكن الثقة بهم إنهم أغبياء ولم يقدموا أي شيء للإنسانية»، وقال أيضًا: «إن العرب يجب الإمساك بهم وإلصاق مسدس برؤوسهم وإطلاق النار عليهم، وأن كل مبنى متعدد الطبقات يقيم فيه عرب وفلسطينيون يجب تدميره».

وهذا غيض من فيض الألفاظ العنصرية التي استمع إليها طلاب قسم العلوم السياسية في جامعة صيفا كثيرًا، ولكن ليس من قبل أحد نشطاء اليمين المتطرف في الجامعة، وإنما من قبل المحاضر الذين توقعوا أن يستمعوا منه إلى محاضرات عن الجهاز العلاقات العربي والمسألة الفلسطينية، فوجدوه يكيل الشتائم والألفاظ العنصرية للعرب.

وأوصى المحاضر العنصري صاحب كتاب «مخاطر الإسلام المتطرف»، الجيش الصهيوني بتصوير المطلوبين الفلسطينيين أثناء إهانتهم وعرض الصور على عائلاتهم كي يشاهدوا أولادهم الجبناء - على حد تعبيره -، وقد حاولت إحدى الطالبات الاعتراض على أقوال الحاخام الإسرائيلي مشيرة إلى كون التاريخ قد عرف علماء رياضيات ورجال علم عرب في كل التخصصات فرد عليها حاخام اليهود من أبناء القردة والخنازير قائلا: «أنت لا تعرفين عما تتحدثين، العرب لم يخترعوا أي شيء إنهم حمقى ولم يقدموا أي شيء للإنسانية لقد نقلوا المعادلات التي تدعين أنهم اخترعوها.. العرب كذابون كبار ولا تصدقي تاريخهم». ا.هـ

أمريكا وإسرائيل.. ومؤامرة جديدة

استمرارًا لنظرية المؤامرة وإشعال الفتن في كل بقعة من ديار الإسلام والعروبة تشير أصابع الاتهام بما لا يدع مجالا للشك في ضلوع أمريكا وإسرائيل فيما يحدث في لبنان فقد كان الحريري رئيس وزراء لبنان الأسبق كبش فداء وضحية لاتفاق المعارضة اللبنانية مع أمريكا وإسرائيل من أجل خروج سوريا من لبنان وتنحي السلطة اللبنانية.

ويأتي اغتيال الحريري بمثابة علامة استفهام كبيرة من حيث اختيار

شخصيته والتوقيت والوضع السياسي الداخلي والإقليمي والترتيب الدولي للمنطقة وقبل الخوض فيمن هو صاحب المصلحة في اغتيال الحريري لابد من الخروج من دائرة لبنان إلى الوضع الإقليمي الذي يعتبر أكثر حساسية في منطقة الشرق الأوسط وأيضًا على المستوى الدولي فالولايات المتحدة الأمريكية التي تحتل العراق وتعتبر أن كل من سوريا وإيران أصحاب يدٍ عليا في دعم حركات المقاومة الداخلية وترتيب أوضاع الحكم في العراق.

وقد صنفت أمريكا إيران ضمن من وصفتهم «بمحور الشر» وتطالبها الآن بالتخلي عن برنامجها النووي، كما صنفت سوريا بأنها من الدول الداعمة للإرهاب سواء على المستوى العراقي أو على المستوى الفلسطيني والمضحك بل والمبكي أن تبادر أمريكا وإسرائيل بمجرد وقوع حادث اغتيال الحريري إلى توجيه أصابع الاتهام إلى سوريا مطالبين فورًا بسرعة الإنسحاب السوري من لبنان وعلى الفور يصدر قرار من مجلس الأمن الأمريكي أقصد الدولي.. وسرعان ما يصدر القرار من دول المصالح في الغرب بالموافقة على مطالبة سوريا الفورية بالإنسحاب من لبنان خدمة لأهداف إسرائيل وأمريكا وتتواصل الحملات الإعلامية ضد سوريا تحت زعم تحميلها مسئولية اغتيال رفيق الحريري ومطالبتها تنفيذ القرار رقم «١٥٥٩» وضد إيران أيضًا تحت زعم امتلاكها أسلحة نووية وعدم تعاونها مع المجتمع الدولي في الوقت الذي كشفت المعلومات عن اتخاذ إسرائيل سلسلة من الإجراءات والاستعدادات بهدف شن هجمات عسكرية ضد كلٍ من سوريا وإيران...

يتوافق ذلك مع التسريبات الأخيرة من البنتاجون الأمريكي والتي تشير إلى سعي واشنطون لإسقاط النظامين السوري والإيراني، وتسارع دول العالم قاطبة إلى الضغط على سوريا وإيران للمسارعة بقبول كل ما يصدر عن أمريكا من مؤامرات متناسين في غفلة من الزمن أن إسرائيل هي التي تحتل جزءًا من أرض لبنان وأن أمريكا وحلفاءها المتآمرين معها ما زالوا يحتلون العراق بعد أن دمروا كيان هذا البلد تحت وهم تخليصها من صدام وإنقاذها من الدكتاتورية ونشر الحرية والديمقراطية.

إن واقع الأمة مرير ومخزٍ للغاية الأمر الذي يتطلب منا سرعة اتخاذ خطوات عملية وجادة لإصلاح حال الأمة، ومعالجة كافة أوجه القصور التي تعتري جوانب الحياة اليومية، فالمسلمون مطالبون بأن يجتمعوا على كلمة سواء، وعلى كلمة الحق حتى تنهض أمتهم، وتذهب عنها أسباب التخلف والفشل لتعود لها ريادتها وسيادتها في كافة المجالات.

إننا نعتقد أن أمتنا تمتلك من مقومات القيادة والريادة ما يجعلها في مقدمة الأمم، لأنها تمتلك منهجًا قويمًا فيه سر النجاح والتفوق فهل تلتقي الأمة بكل فصائلها على كلمة سواء على كتاب الله وسنة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم فتستعيد بذلك مجدها المفقود وتحقق أملَها المنشود، وتسود على العالمين؟ فالاعتصام الاعتصام والتمسك التمسك بهذا المنهج الكريم والالتفاف حوله كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾.

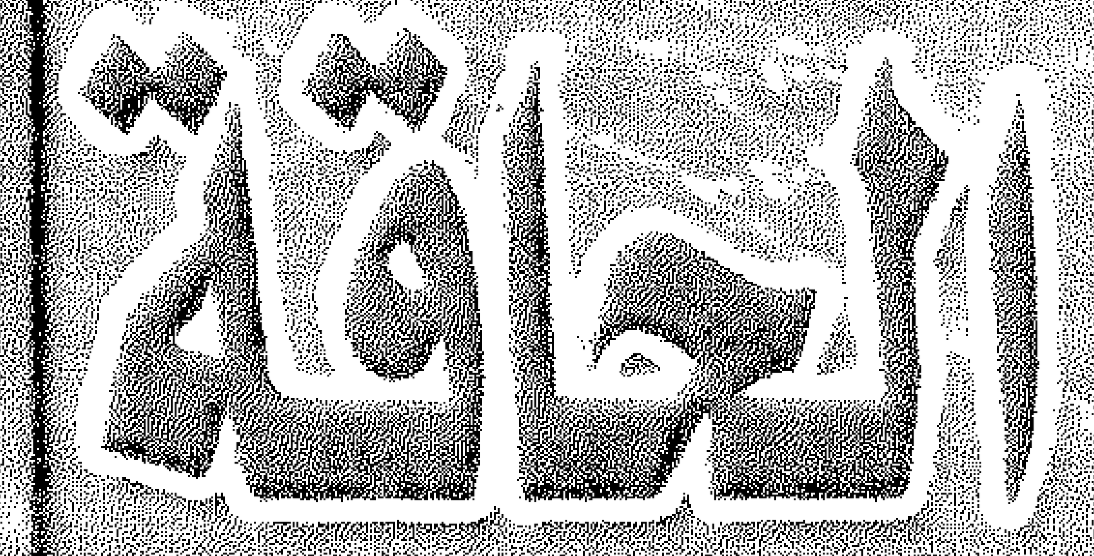
اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين.

-وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إن سبيل الإصلاح الحقيقي يكمن في منهج الأنبياء والمرسلين بعيداً عن زيف أمريكا ومن عاونها

باب التفسير

سورة



الحلقة الأخيرة

إعداد

د. عبد العظيم بدوي

الموقع على الانترنت

WWW.ibnbadawy.com

﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

[الحاقة: ٣٤-٥٢]

يقول الله تعالى عمن أوتي كتابه بشماله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فلم يحسن فيما بينه وبين الله، ولم يحسن فيما بينه وبين عباد الله، وشرط النجاة إحسان العبد فيما بينه وبين الله تعالى بالإيمان به وطاعته، وإحسانه فيما بينه وبين الناس ببرهم وكف الأذى عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾، ثم فسرّ إحسانهم، فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥- ١٩]، وهذا إحسانهم فيما بينهم وبين الله، ثم قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، وهذا إحسانهم فيما بينهم وبين عباد الله، ولذا وصّى النبي ﷺ بعموم هذا الإحسان فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

فهذا الخاسر- صاحب الشمال ﴿كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فأساء فيما بينه وبين الله، كما أساء فيما بينه وبين الناس، ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: قريب أو صديق ينفعه أو يشفع له، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿وَلاَ طَعَامٌ﴾ أي: ليس له اليوم هاهنا طعام ﴿إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ وهو ما يسيل من جراحات أهل النار، من الدم والقيح والصديد، وهو طعام ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ أي: المذنبون المتصفون بالخطيئة.

وبعد، فذلك هو الذي يجعله الله مستحقًا للأخذ والغلّ والتصلية وأن يُسلك في السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعًا في الجحيم، وهو أشد دركات جهنم عذابًا، فكيف بمن يمنع طعام المسكين؟ ومن يُجيعُ الأطفال والنساء والشيوخ، ومَنْ يبطش بطشة الجبارين بمن يمدّ إليهم يده باللقمة والكساء في برد الشتاء؟ أين ترى يذهب هؤلاء؟

وهم يوجدون في الأرض بين الحين والحين، وما الذي أعدّه الله لهم وقد أعد لمن لا يحضّ على طعام المسكين ذلك العذاب في الجحيم.

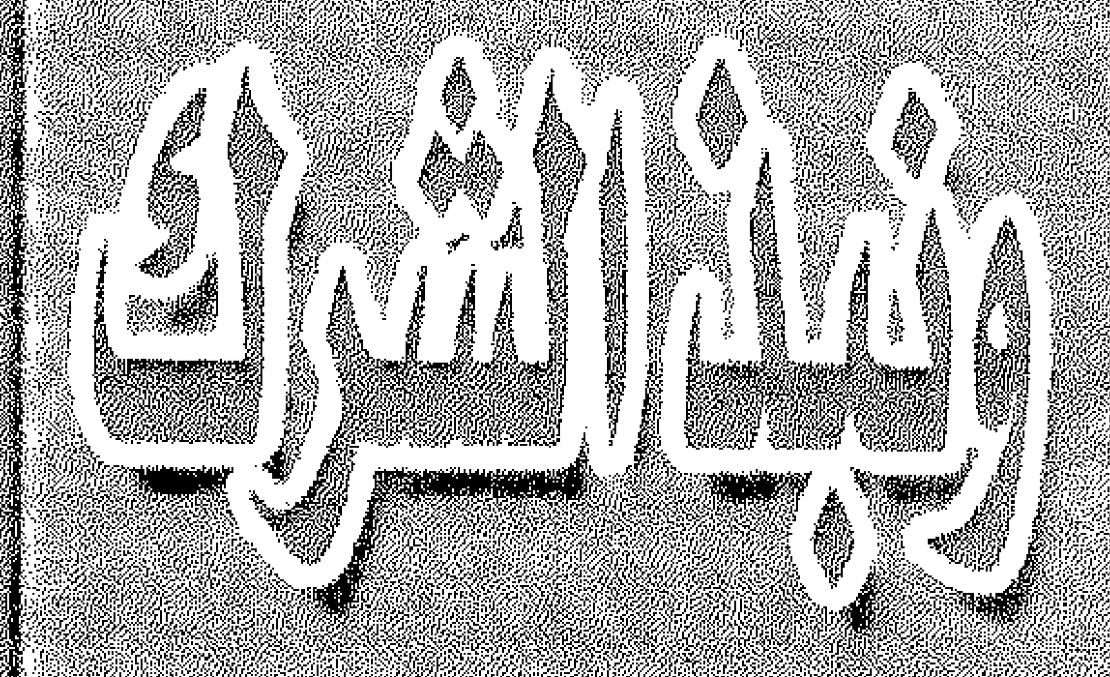
يقول تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: إن القرآن الكريم كلامُ الله رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلّمه سيد المرسلين محمدًا ﷺ، وهذه حقيقة طالما كررّها القرآن، ردًا على الذين ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥]، وهو هنا يؤكد هذه الحقيقة بالقسم: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾، وهو أكثر وأعظم مما تبصرون، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني النبي ﷺ إضافة إليه على معنى التبليغ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقد كان المشركون كما وصفهم الله مختلفين في أمر النبي ﷺ، غير متفقين على كلمة يقولونها فيه، فتارةً يقولون شاعر، وتارة يقولون ساحر، وتارة يقولون كاهن، وتارة يقولون مجنون، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، فبرّأ الله نبيه مما قالوا، فقال هنا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال في سورة الطور: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، ولقد كانت هذه الآيات من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرةً في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد رُوي عنه أنه قال: خرجتُ أتعرّض رسول اللّه ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خَلْفَه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعرٌ كما قالت قريشٌ، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، قال: فقلت: كاهن، فقرأ: ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ يعني: لو زاد محمد على ما أوحيناه إليه شيئًا أو نقص: ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ فمات، لأن الوتين عِرْقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبُه، ولو فعل الله ذلك بنبيه ما منعه أحد، ولذا قال تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، وهذا التهديد قد تضمن شهادة الله لنبيه بالأمانة على ما أوحى إليه، وأنه لم يزد فيه ولم ينقص، وتوضيح ذلك أنه لما لم يفعل به ما ذكره في هذا الوعيد، دلّ على أنه لم يتقوّل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني القرآن، وأما الذين لا يتقون فقلوبهم مطموسة غافلة، لا تتفتح ولا تتذكر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ أي: مع هذا البيان ووضوح الآيات، وظهور البراهين على أن القرآن كلام الله رب العالمين، إلا أنّا نعلم أن منكم مكذبين بالقرآن، ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فإنه إذا كان يوم القيامة، ورأوا ما وعدهم به، تحسّروا إذ لم يهتدوا به، ولم ينقادوا له، كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ يعني وإن كذّب به المكذبون، فهو حق اليقين، وليس مجرّد اليقين، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، ولقد سبّح النبي ﷺ باسم ربّه، وحثّ أمّته على التسبيح، وكان يقول: «كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وإلى اللقاء في الحلقة القادمة- إنْ شاء الله- حول تفسير سورة «المعارج».



الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد . وبعد:

إعداد
زكريا حسيني

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلَصة؟» فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحْمَس. وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا». قال: فما وقعت عن فرس بعد، قال: وكان ذو الخلصة بيتًا باليمن لخثعم وبَجِيلة فيه نُصُبٌ تُعْبَدُ- يقال الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسولَ رسولِ الله ﷺ هاهنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير قال: لتكسرنها ولْتشهدْ أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك، قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاةَ إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرَّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في تسعة مواضع من صحيحه ثلاثة منها في كتاب الجهاد: في باب (حرق الدور والنخيل) برقم (٣٠٢٠) وباب (من لا يثبت على الخيل) برقم (٣٠٣٦) وباب (البشارة في الفتوح) برقم (٣٠٧٦) وفي موضع واحد في كتاب مناقب الأنصار باب (ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه) برقم (٣٨٢٣)، وكتاب المغازي في باب (غزوة ذي الخلصة) بالأرقام (٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧)، وفي كتاب الأدب باب (التبسم والضحك) برقم (٦٠٩٠) وفي كتاب الدعوات باب (قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ برقم (٦٣٣٣)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب «من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه» برقم (٢٤٧٦). وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب (في بعثة البشراء) برقم (٢٧٧٢)، وأخرجه النسائي في الكبرى في السير وفي المناقب، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (٤/٢٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥).

راوي الحديث:

هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عوف، الأمير النبيل الجميل، أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البَجَلِيُّ القَسْرِيُّ، وقسر من قطحان، وجرير من أعيان الصحابة وبايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم، وفي مسند احمد بسند قوي عن جرير بن عبد الله قال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، وحللت عيبتي ولبست حلتي ثم دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالحدق. فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئًا؟ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عَرَضَ له في خطبته، فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، ألا وإن على وجهه مِسْحَة ملك». قال: فحمدت الله.

وعنه رضي الله عنه قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، قال: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مِسْحَة مَلَكٍ»، وإسناده صحيح. وروى البخاري ومسلم عن همام قال: رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسئل فقال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل هذا، قال إبراهيم فكان يعجبهم، لأن جريرًا من آخر من أسلم.

واعتزل جرير عليًا ومعاوية حتى توفي، وروي أن عليا أرسل إليه ابن عباس والأشعث فقالا: أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول: نعم ما رأيت من مفارقتك معاوية، وإني أنزلك بمنزلة رسول الله ﷺ التي انزلكها. فقال جرير: إن رسول الله ﷺ بعثني إلى اليمن أقاتلهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا حرمت دماؤهم وأموالهم، فلا أقاتل من يقول لا إله إلا الله.

وتوفي جرير سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة أربع وخمسين، فرضي الله عنه وأرضاه.

شرح الحديث:

قوله: «غزوة ذي الخَلَصَةِ» بفتح الخاء واللام والصاد، وحكى ابن دريد فتح أوله وإسكان ثانيه، وحكى ابن هشام ضمها، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه، والأول أشهر، قاله الحافظ في الفتح، وقال: والخلصة نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق، وذو الخلصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل: اسم البيت الخلصة، واسم الصنم ذو الخلصة، وحكى المبرد أن موضع ذي الخلصة صار مسجدًا جامعًا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم، ووهم من قال إنه كان في بلاد فارس.

كان بيت في الجاهلية لخثعم يقال له ذو الخلصة، وخثعم قبيلة شهيرة ينتسبون إلى خثعم بن أنمار بن إراش بن عنز بن وائل ينتهي نسبهم إلى ربيعة بن نزار إخوة مضر بن نزار جد قريش، وقد ذكر ذو الخلصة في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة»، وكان صنمًا تعبده دوس في الجاهلية. قال ابن حجر: والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث جرير هذا، لأن دوسًا قبيلة أبي هريرة ينتسبون إلى دوس بن عدثان - بالثاء المثلة - بن عبد الله بن زهران ينتهي نسبهم إلى الأزد، فبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد، وذكر ابن دحية أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لحيٍّ قد نصبه أسفل مكة، وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وأما الذي لخثعم فكانوا قد بنوا بيتًا يضاهون به الكعبة، فظهر الافتراق وقوي التعدد، والله أعلم.

جاء في بعض روايات الحديث: «والكعبة اليمانية والكعبة الشامية». قيل: هو غلط والصواب اليمانية فقط، سموها بذلك مضاهاة للكعبة، والكعبة البيت الحرام بالنسبة لمن يكون جهة اليمن شامية. فسموا التي بمكة شامية والتي عندهم يمانية تفريقًا بينهما.

وقوله ﷺ: «ألا تريحيني» بفتح اللام مخففة

لا راحة لصالحي أهل الإسلام

مهمة الرسل دعوة الناس إلى

على من أخذ بالأسباب ألا ينسى دعاء

إلا بزوال معالم الشرك بالله عزوجل

التوحيد الخالص وتعبيدهم لرب الناس

الله؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن

طلب تضمن الأمر، وخص ﷺ جريرًا بذلك لأنها كانت في بلاده وهو من أشراف قومه، والمراد بالراحة هنا راحة القلب؛ وما كان شيء أتعب لقلب رسول الله ﷺ من بقاء الشرك بالله تعالى.

قوله: «فبرك النبي ﷺ على خيل أحْمَسَ ورجالها خمس مرات» أحْمَسُ على وزن أحمر هو إخوة بَجيلةَ رهط جرير ينتسبون إلى أحْمَسَ بن الغوث بن أَنْمَار، وبجيلة اسم امرأة نسبت إليها القبيلة المشهورة. قال الحافظ في الفتح: وفي العرب قبيلة أخرى يقال لها أحمس ليست مرادة هنا ينتسبون إلى أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

وأما بَرَّكَ وفي رواية بَارك وفي ثالثة دعا لنا ولأحمس خمس مرات - أي بالبركة.

قول جرير رضي الله عنه: «وكنت لا أثبت على الخيل فضرب على صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري». أي أن النبي ﷺ فعل ذلك ثم دعا له بقوله ﷺ: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا». الذي لا يثبت على الخيل يقال له رجل قِلَعٌ وخاصة الذي لا تثبت قدمه عند الحرب، فلذلك دعا النبي ﷺ لجرير أن يثبته الله تعالى على فرسه، وزاد في دعائه له أن يجعله الله تعالى هاديا مهديا أي هاديا لغيره مهديا في نفسه.

قوله: «فكسرها وحرقها» أي: هدم بناءها، ورمى النار فيما فيها من الخشب.

وقوله: «ولما قدم جرير إلى اليمن» يشعر باتحاد قصته في غزوة ذي الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، وكأنه بعد فراغه من هدم ذي الخلصة وتحريقها، وأرسل رسوله ليبشرَ رسول الله ﷺ استمر ذاهبًا إلى اليمن لدعوة أهلها إلى الإسلام وتعريفهم بخبر رسول الله ﷺ وإقامة الدين فيهم.

قوله: «يستقسم بالأزلام» أي يستخرج بواسطة ذلك غيب ما يريد أن يفعله ويمضي فيه من خير أو شر، والاستقسام بالأزلام وهي الأسهم التي لا ريش لها واحدها «زَلَمٌ» فكان الواحد منهم إذا أراد فعل أمر «أخذ ثلاثة أسهم وكتب على أحدها [افعل] وعلى الثاني: [لا تفعل] وترك الثالث غُفْلاً أو كتب عليه [غُفْلٌ]. ويقرع بها فإن خرج الذي فيه الأمر بالفعل فعل، وإن خرج الذي فيه النهي انتهى، وإن خرج الغُفْلُ أعاد، ويعتقدون أن في ذلك الخير أو هو الذي يترتب عليه اختيار الخير للفاعل غير رادين الأمر لصاحب الأمر وهو الله رب العالمين، وقد حرم الله تعالى الاستقسام بالأزلام في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ عطفا على المحرمات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ الآية.

قوله: «ثم بعث جرير رجلاً من أحْمَسَ يكنى أبا أَرْطَاةَ». قال ابن حجر: وقع مسمى في صحيح مسلم بـ «حصين بن ربيعة»، ولبعض رواة مسلم «حسين» وهو تصحيف، قال: ومنهم من سماه «حصن»، وقلبه بعض الرواة فقال: «ربيعة بن حصين»، ومنهم من سماه «أرطاة»، والصواب: أبو أرطاة حصين بن ربيعة وهو ابن عامر بن الأزور، وهو صحابي بجلي لم أَرَ له ذكرًا إلا في هذا الحديث. اهـ.

قوله: «كأنها جمل أجرب» كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها، وقال الخطابي: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلي بالقطران من جربه، إشارة إلى أنها صارت سوداء لما وقع فيها من التحريق. ووقع في بعض الروايات: «أجوف» بدلاً من أجرب، والمعنى أنها صارت صورة بغير معنى. والأجوف الخالي الجوف مع كبره في الظاهر. والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد الجمة والمطالب العظيمة الكثير وأولها وأهمها حرص النبي ﷺ على توحيد الله تبارك وتعالى، وأنه أظهر حزنه وتعبه لوجود أوثان أو أصنام تعبد من دون الله تعالى في أرض الله، وأن همه كان انتشال الناس من الشرك إلى التوحيد، وألا يتعلق العبد في أي أمر من أموره إلا برب العالمين الذي خلقه وسواه وجعله في أحسن تقويم، وإن كثيرًا من المجتمعات الإسلامية تعج

ويشيع فيها ألوان من الإشراك بالله تعالى في ألوهيته خاصة، فإن كثيرًا من المسلمين تتعلق آمالهم ويتوجهون بحوائجهم إلى القبور وأصحابها راجين منها دفع البلاء والضر، وجلب العافية والنفع، وحتى من لم يتعلق بهؤلاء المقبورين فإنه لا يجرؤ على هدم شيء من قبابهم وما بنى عليهم وذلك خشية أن يصيبه صاحب القبر بضر إن هو فكر في ذلك أو تجرأ عليه، ويمتد هذا الاعتقاد حتى يشمل الذبح عند هذه القبور، والنذر لأصحابها وإقامة الاحتفالات، بل قد يصل الأمر إلى تقديم شكاوى لبعض أصحاب هذه القبور ليرد إليه مظلمته ممن ظلمه، ومنهم من يطلب الولد ممن يظن أنه يستطيع أن يمنحه الولد من هؤلاء، ومهمة الرسول ﷺ بل وظيفة الرسل جميعًا والعلماء من بعدهم، وظيفتهم تعبيد الناس لرب الناس، وإنك لتعجب ممن ينكرون على الرسل ومن ينكرون على العلماء دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، فهل الداعي أو العالم يطلب من المدعو أن يترك عبادة شيخه ليعبد شيخ الداعي، حتى يظن أنه يريد صرفه عن عبادة مخلوق ليعبد مخلوقًا آخر؟

إن هذا لشيء عجاب، إنما يدعو الرسل والعلماء- وهم ورثتهم- إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غير الله، إن دعوة الرسل هي دعوة لجميع الخلق أن يتوجهوا بعبادتهم لخالق الخلق جميعًا ورازقهم ومدبر أمورهم من بيده ملكوت كل شيء، ولكن إذا ذهب العقل ضل صاحبه وغوى، وتوجه لعبادة المخلوق غير مفرق بين من يملك النفع والضر والموت والحياة والنشور وبين من لا يملك من ذلك شيئًا لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره.

ولا شك أن الهمَّ الأكبر الذي يوجع القلب ويتعبه إنما يتمثل في وجود من يشرك مع الله أحدًا، وإن آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد الخلق ﷺ إنما تفيض بهذا الأمر، وهي معلومة لكل ذي عينين بل لكل ذي قلب سليم.

إنه يجب على المسلمين في كل بقاع المعمورة أن يزيلوا ما يفتن الناس عن دينهم سواء كان بناءً أم صنمًا أم وثنًا، وإن التماثيل التي وضعت بالميادين في بلاد المسلمين لهي نذير شر وخطر على عقائد المسلمين، ولا سيما في زمن الجهل بالدين، ولكن إذا كان زعماء بعض الطوائف يقام على قبره بنيان ويُذكرُ بكل فخر أنه بُنى على هيئة الكعبة وأن أبناء هذه الطائفة يطوفون بالقبر كما يطوف المسلمون بالكعبة، فهؤلاء ينأون بأنفسهم عن التوحيد ويلبسون عن الجهلة من أبناء المسلمين، ويصبح الإسلام في نظر أعداء الإسلام مجموعة من الخرافات والخزعبلات، والله لو أن المسلمين فقهوا الإسلام عقيدة وشريعة وعملوا بمقتضاه لَعَزُّوا وارتفعوا وما هانوا ولا ذلوا، وما استطاع أعداؤهم ولا تجرؤا أن يطعنوا في الدين الحق الذي رضيه الله لعباده دينًا، وأخبر سبحانه أنه لا يقبل منهم دينًا سواه.

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث- من الفوائد- مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح، وقبول خبر الواحد، والمبالغة في نكاية العدو، ومناقب لجرير وقومه، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه، وأنه كان يدعو وترًا وقد يجاوز الثلاث- وهذا تخصيص لعموم قول أنس رضي الله عنه: «كان إذا دعا دعا ثلاثًا». فيحمل على الغالب، وكأن الزيادة لمعنى اقتضى ذلك، وهو ظاهر في أحمس لما اعتمدوه من دحض الكفر ونصر الإسلام ولا سيما مع القوم الذين هم منهم.

نسأل الله العلي العظيم ربَّ العرش العظيم أن يعز أهل التوحيد أهل الحق وأن يذل أهل الباطل أهل الشرك، وأن يهدي ضال المسلمين إلى هدي كتابه وسنة رسوله وأن ينشر لواء التوحيد في كل مكان من أرض الله، وأن يحيينا على توحيده سبحانه ويميتنا عليه، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، وأن يحشرنا في زمرة الموحدين مع سيدهم محمد بن عبد الله ﷺ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق عفيفي، رحمه الله،
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة سابقًا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

الإسلام عقيدة وقول وعمل، فالعقيدة إيمان راسخ بأن الله رب كل شيء ومليكه خلقًا وتقديرًا وملكًا وتدبيرا، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.

ترى جماعة أنصار السنة المحمدية أنها تُمَرُّ هذه النصوص كما جاءت اقتداءً منهم فيها بسلف هذه الأمة وخير قرونها فيفسرونها بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي بها نزل القرآن وكانت لسان النبي عليه الصلاة والسلام مع تفويض العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ولا يلزم من ذلك تشبيه الله بعباده كما لم يلزم من الإيمان بذات الله تعالى على الحقيقة، مع الكف عن الخوض في كنهها.

وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه وأرحم بهم منهم بأنفسهم وكلامه أبلغ كلام وأبينه، وله سبحانه الحكمة البالغة فيستحيل أن تتوارد النصوص وتتابع الآيات والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة؛ والمراد غير ما دلت عليه حقيقة ويقصد الله منها أو يقصد رسوله عليه الصلاة والسلام إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلاً على ما أراد من المعاني المجازية اعتمادًا على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر، فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى وسعة رحمته وفصاحة كلامه وقوة بيانه وبالغ حكمته، ولأن يتركهم الله دون أن يعرفهم بنفسه ويعرفهم به رسوله عليه الصلاة والسلام بوحيه، خير لهم وأيسر سبيلاً، لعدم وجود المعارض للشبه الباطلة التي زعموها أدلة وبراهين وما هي إلا الخيالات ووساوس الشياطين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فمن جحد شيئًا من هذه النصوص أو تأولها على معان مجازية من غير دليل يرشد إلى ما تأولها عليه فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته وحق عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد زادت السنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء والصفات توكيدًا وبيانًا فقضت على قول كل متأول يحرف كلام الله عن مواضعه، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها وتلاعبها بشريعة نبيها.

العقيدة الصحيحة أيضًا إخلاص العبادة لله وإفراده تعالى بجميع أنواعها ما ظهر منها كالصلاة والزكاة والحج وما بطن منها كالتوكل على الله والإنابة إليه والرجاء لرحمته والخوف من عقابه ونقمته والاستغاثة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأقوال والأعمال والأخلاق التي تدخل في مسمى الإسلام، كما تدخل العقيدة وإن تفاوتت منازلها في الدين وكان لكل منها درجة تخصها حسبما يتوقف عليها من العبادة وما يتبعها من الآثار.

إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك وألوان البدع والخرافات لتبعث من دان لله بها إلى العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب السامية وتجعل منه رجلاً مثاليًا في الحياة إن حكم عدل وإن قال فقوله سديد وإن عمل كان على جادة الكتاب والسنة وإن عاشر الناس وجدوا منه خير سيرة فمظهره، يشرح للناس الإسلام ويفسره تفسيرًا عمليًا بقوله وعمله وخلقه، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة فقد شابها كثير من البدع والخرافات أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه وإن خالف وحي السماء أو طغت عليه الشبه واستولت عليه الشكوك والأوهام ضرب في كل واد وأخذ في بنيات الطريق وضل عن سواء السبيل.

من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السنة المحمدية يكثرون من الكلام في التوحيد في دروسهم وخطبهم وكتابتهم ولهم في ذلك خير أسوة، أسوتهم في ذلك أئمة الهدى وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصر أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله وتهتدي بهدي رسوله ﷺ وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة وقولاً وعملاً لا تؤثر على ذلك شيئًا ولا ترضى به بديلاً من آراء الرجال الضالة، وأهوائهم الزائفة، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وما في معناه من الآيات والأحاديث، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وأرجو الله أن يهيء لنا جميعًا من أمرنا رشدًا، وأن يلهمنا الرشد، والصواب في القول والعمل فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من كبار علماء الحرمين الشريفين

الشيخ العلامة المحدث

محمد عبد الرزاق حمزة

رحمه الله

نبذة عن حياته وأخلاقه وعلمه

إعداد

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن السابر لأغوار التاريخ، والمتعمق فيه يدرك أن تاريخنا الإسلامي حافل بالعلماء الأعلام، الذين أوقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه، وتحملوا المتاعب والآلام، وتجشموا المصاعب والأخطار، في جمع شوارده واقتناص أوابده، واستنباط قوانينه وقواعده، وأنفقوا أثمن ما يملكونه من مال وجهد ووقت في سبيل هداية الخلق.

إن نشر تراجم العلماء، والتذكير بفضلهم، والتعريف بسير حياتهم وجهادهم من الأعمال التي تُذكر فتُشكر.

ذلك أن الكتابة عن العلماء وتسجيل سيرهم بعد رحيلهم يقيها عدوان النسيان مع تباعد الأزمان، إلى جانب ما يحصل من الخير والنفع العاجل والآجل، ومن ذلك أن الناس يقتدون بهم، ويحذون حذوهم، ويدعون لهم.

وإنه لجميل أن تعرف هذه الأمة للعلماء فضلهم، وتحفظ حقهم، وتجل قدرهم، وتنزلهم منازلهم اللائقة بهم، بوصفهم معالم هداها، ومصابيح دجاجها.

ومن هؤلاء العلماء الذين تسعد الأمة بهم وتتشرف بذكرهم العالم العامل، والمُحدِّث الثقة، والمفسر المتمكن، والأصولي المتبحر، الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة- رحمه الله.

مولده: ولد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في قرية كفر عامر التابعة لمركز بنها بمصر وينتهي نسبه إلى الرسول ﷺ، أي أنه من سلالة آل الرسول، وكان من خلقه وطبعه عدم ذكر شيء عن نسبه؛ لأن مبدأه وعقيدته التي عاشها طوال حياته أن الأنساب لا ترفع أحداً وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وشجرة نسبه تحتفظ بها أسرته.

وقد تربى في وسط ريفي بين أبوين كريمين، تغلب عليهما السماحة والوداعة، والبعد عن التعقيد، والصراحة في القول والعمل، وعدم التهرب من الواقع والحقيقة، وما إلى ذلك مما يفرضه الوسط الريفي القروي من خلال هي في جلمتها خير الخلال وأفضل السمات.

وكذلك كان الشيخ محمد عبد الرزاق- رحمه الله تعالى- في حياته وظل كذلك بعد أن انتقل إلى الحاضرة، وعاش في القاهرة بين صخب المدينة وزخرفة الحضارة، ومعاصرة أصحاب الترف في الطبقات (المترفة) مع هذا كله لم تتغير خصال الشيخ وانطباعاته، ولم يحد عن خلقه في السماحة والمسالمة والصراحة والتمسك بمكارم الأخلاق وصفات أهل الورع والتقوى.

دراسته وتحصيله: لقد تلقى المبادئ الأولى من القراءة والكتابة والقرآن الكريم في كُتَّاب القرية، وكانت تلك المبادئ إعدادًا لما بعدها من مراحل العلم وحقول المعرفة والتوسع في جوانب الدراسة الدينية والعربية والرياضية.

وكان الأزهر في أرض الكنانة هو حلم كل والد، وأمنية كل إنسان عنده ولد، فمتى بلغ الولد سن القبول في الأزهر، وتوفرت فيه الشروط المطلوبة في طلبته، كحفظ القرآن، ألحقه أبوه بالأزهر، وكان ذلك مفخرة له ولولده، فيتدرج الطالب في علوم الدين واللغة العربية، وما تتطلبه هذه العلوم من أصول وفروع، لتقوية الثقافة الإسلامية، وتضخيم رصيد الطلاب من المعرفة، حتى يصبح المتخرج فيه علاَّمة لا يشق له غبار في ميدانه، وكذلك كان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة أحد أولئك

الذين دخلوا الأزهر في عهد الشيخ سليم البشري، وكان مشايخ الأزهر في تلك الأيام فطاحل في المجال العلمي والتحقيق، وكان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة فرعًا لتلك الأصول القوية، ومتقدمًا على أقرانه كما هو معروف بحضور البديهة، دؤوبًا على التحصيل والغوص في بحر المسائل العلمية العويصة وحلها بتحقيقه والإفادة منها.

التحاق الشيخ بدار الدعوة والإرشاد: كان الشيخ رشيد رضا- رحمه الله- قد أنشأ مدرسة باسم «دار الدعوة والإرشاد» لبعث الفكرة الإسلامية، وإحياء السنة المحمدية، وبث روح الدعوة الإسلامية في الملتحقين بها، وتكوين جماعة صالحة لنشر العقيدة السلفية الصحيحة في آراء مستقلة.

وراقت فكرة هذه المدرسة للشيخ محمد عبد الرزاق فالتحق بها بعد تخريجه في الأزهر، للاستزادة من الثقافة الإسلامية المتطورة، المتمشية مع الكتاب والسنة، وذلك سنة (١٣٤٠هـ)، وكانت دراسته في هذه الدار باكورة اشتغاله بالسنة النبوية، والعكوف عليها عكوف العارف المتمكن، والعالم الذي له ملكة الاستنباط والمقارنة، ولامتيازه على زملائه طلاب دار الدعوة والإرشاد توثقت الصلة بينه وبين مدير الدار الشيخ رشيد رضا- رحمه الله- وصار من المتشيعين بفكرته في التحرر من التقليد الأعمى دون معرفة الدليل للمسائل العلمية الدينية، والأخذ بهدي السنة المطهرة دون بحث عن رأي فقيه، أو التمذهب بمذهب ولو كان فيه مخالفة صريحة للسنة المطهرة، وهذا التقليد هو الذي ذمه حتى الأئمة الأربعة أنفسهم، وقد ثبت عنهم جميعًا قولهم مع اختلاف في الألفاظ: «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

وفي دار الدعوة والإرشاد وعلى مقاعد الزمالة فيها تعرف الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة على الشيخ عبد الظاهر أبي السمح، الداعية إلى الله، والذي أوذي في الله لصلابته في التمسك بالحق، وشدة إنكاره على البدع ورواسب الوثنية، ولكنه خرج من كل ذلك مرفوع الرأس موفور الكرامة، وأحسن الله له المخرج من بينهم، فاختير لإمامة المصلين بالمسجد الحرام أمام الكعبة المشرفة، خير بقاع الدنيا.

وكانت معرفة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بالشيخ عبد الظاهر أبي السمح بدار الدعوة والإرشاد معرفة قوية ثم توثقت العلاقات بالمصاهرة بينهما.

نشاط الشيخ محمد عبد الرزاق في القاهرة:

لم يطل أمد انتظام الشيخ محمد عبد الرزاق في مدرسة دار الدعوة والإرشاد، إذ قامت الحرب العالمية الأولى وتأزمت الأمور، وانقطعت المساعدات المالية التي كانت تُموِّل المدرسة من جانب حكام مصر، تشجيعًا منهم وتقديرًا للخطوة الموفقة التي خطتها، وكانوا يرجون من ورائها الإصلاح ونشر العلم.

وأخيرًا توقفت المدرسة، إلا أنها تركت أثرًا صالحًا في طلبتها، فأصبحوا دعاة إلى فكرتها، وأنصارًا للإصلاح الذي كانت تهدف إليه من تصحيح العقائد، وتنوير الأذهان، لأخذ الدين من معينه الصافي الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هذا ولم تنقطع صلات الشيخ محمد عبد الرزاق بمؤسس دار الدعوة والإرشاد الشيخ رشيد رضا، وأخذ يلازمه في إدارة مجلته الإسلامية «المنار»، وكان الشيخ رشيد رحمه الله يعهد إليه بتحقيق بعض الكتب الإسلامية، التي تطبع في مجلة المنار لنشر الوعي الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات كما كان- أي الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة- يوالي نشر مقالات هادفة في بعض المجلات التي تُعنى بالناحية الأخلاقية ومحاربة الفساد كمجلة مكارم الأخلاق المصرية.

علاقته بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر: كانت للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله أوثق الصلات بجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ممثلة في رئيسها ومؤسسها فضيلة الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله وكانت بينهما صلات قوية تنبئ عن عمق العلاقة الأخوية والدعوية للشيخين الجليلين رحمهما، كما أن المكاتبات والمراسلات العلمية بينهما تنبئ أيضًا عن عمق هذه العلاقة ومتانتها، كما كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله إسهامات علمية مباركة في مجلة الهدي النبوي تبرهن على قوة صلة الشيخ بجماعة أنصار السنة المحمدية التي تؤدي دورًا فاعلاً في الساحة الإسلامية داخليًا وخارجيًا.

انتقاله إلى الحجاز: وفي عام ١٣٤٤ قصد الشيخان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ عبد الظاهر أبو السمح مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وكان الملك عبد العزيز آل سعود (ملك الحجاز وسلطان نجد كما كان لقبه يومئذ) حاجًا فاتصلا به مع العلماء القادمين من العالم الإسلامي، وتكررت اللقاءات معه فعرف الكثير عن نشاطهما وقيامها بالدعوة السلفية في مصر، وعرض عليهما الانتقال إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية لإمامة الحرمين الشريفين والقيام بخطابة الجُمع والتدريس فيهما.

وبناءً على الرغبة الملكية السامية انتقل الشيخان بأهلهما وأولادهما إلى مكة المكرمة سنة

١٣٤٧هـ (١٩٢٩م) وأصدر الملك عبد العزيز أمره الكريم بتعيين الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في المسجد الحرام، وتعيين الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي بالمدينة.

نشاطه في المدينة: كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في خطب الجمع والتدريس في الحرم النبوي جولات واسعة في الإصلاح الديني، والتوجيه الهادف، ومعالجة الأدواء الاجتماعية، كما فتح دروسًا صباحية ومسائية في المسجد النبوي في الحديث والتفسير والتوحيد، وكان لكل ذلك الأثر الطيب في نفوس الشباب المثقف وغيرهم.

انتقاله إلى مكة المكرمة: لم تطل إقامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في المدينة فنقل إلى مكة المكرمة في غضون ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) مدرسًا في الحرم المكي، ومساعدًا للشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح في إمامة الحرم والخطابة.

في المعهد العلمي السعودي: كما عهد إليه في التدريس في المعهد العلمي السعودي ودروسه في المعهد لم تكن مقتصرة على المواد الدينية، بل قام بتدريس المواد الرياضية كالحساب والهندسة والجبر ومبادئ المثلثات.

دروسه في الحرم المكي: واستأنف- رحمه الله- نشاطه العلمي الإرشادي في مكة، بفتح دروس للعامة بين العشاءين، وبعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، في التفسير والحديث بطريقة غير مألوفة للناس، وذلك بعدم التقيد بكتاب معين فكان يقرأ الآية غيبًا ثم يبدأ في تفسيرها بما وهبه الله من سعة الإطلاع وسرعة استحضار أقوال السلف مكتفيًا في ذلك بالصحيح الثابت المأثور من الأقوال والروايات، وبهذه الطريقة أكمل مرارًا تفسير القرآن الكريم، وفي الحديث أكمل قراءة الصحيحين وشرحهما على طريق تفسير القرآن، وكانت حلقات دروسه ملتقى أجناس شتى من أهل مكة والوافدين إليها، ونفر كثير من أهل جدة كانوا يحرصون على دروسه كلما جاءوا إلى الحرم، ولم تكن دروسه تخلو من طرف علمية أو نوادر أدبية دفعًا للسأم، وترويحًا لنفوس المستمعين على عادة العلماء الأقدمين الأذكياء.

وإذا تعرض لآراء الفرق المنحرفة من القدماء أو العصريين شرح للمستمعين انحرافاتهم، ثم يبدأ في نقض آرائهم بطريقة علمية منطقية سهلة، يرتاح إليها الحاضرون، ويصغون إليه وكأن على رؤوسهم الطير.

دروسه الخاصة: وكان للشيخ- رحمه الله- بعض الدروس لأفراد من راغبي العلم في حجرته بباب علي في المسجد الحرام وكانت تعرف بقبة الساعات، وهذه الدروس كانت تشمل اللغة العربية، (النحو والصرف والبلاغة)، وأصول التفسير، وأصول الحديث، والرياضيات كالجبر والهندسة والفلك، ولم تكن دراسته لعلم الفلك على الطريقة القديمة (الربع المُجَيَّب) بل كانت على الطريقة الحديثة وقد ساعدته معرفته بمبادئ اللغة الإنجليزية للاستفادة بالتقويم الفلكي السنوي، الذي تصدره (البحرية الملكية البريطانية بلندن).

فكرة تأسيس مرصد فلكي في مكة: وولعه بهذا الفن دفعه إلى فكرة تأسيس مرصد فلكي صغير، على رأس جبل أبي قبيس بمكة المكرمة، للاستعانة بآلاته على إثبات رؤية الهلال لشهر رمضان، ورؤية هلال ذي الحجة لتحديد وقفة عرفات وعيد الأضحى، وعرض الفكرة على الملك سعود بن عبد العزيز- رحمه الله- فوافق، وأصدر أمره إلى (وزارة المالية) ببناء غرفة خاصة للمرصد على قمة جبل أبي قبيس كما ساعده في جلب بعض آلات الرصد في مقدمتها (تلسكوب)، ولكن- مع الأسف- لم يكتب للفكرة الظهور إلى الوجود نظرًا لغرابتها.

مدرسة دار الحديث: كان الاهتمام بالحديث وكتبه ودراسته ودراسة فنونه في مقدمة ما كان يحرص عليه الشيخان الجليلان الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة وبناءً عليه قام الاثنان بتأسيس (دار الحديث بمكة) سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) بعد الاستئذان من الملك عبد العزيز- رحمه الله- وقد رحب بالفكرة، ووعدهما بالمساعدة في كل ما يحتاج إليه هذا المشروع.

وتم افتتاح هذه الدار تحت إدارة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح، وعُهِدَ إلا الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بأن يكون مدرسًا أولاً بها، واختير لها كذلك نخبة من العلماء المشتغلين بالحديث وعلومه للتدريس بها.

وبذل الشيخ محمد عبد الرزاق مجهودًا كبيرًا في رفع مستوى طلاب الدار في علوم الحديث، وكان معظم طلابها يومئذ من المجاورين، وبعد سنوات تخرج فيها عدد لا بأس به، فرجعوا إلى بلادهم بأفريقيا وآسيا دعاةً إلى الله، وهداة إلى سنة رسوله كما تولى كثير منهم المناصب الدينية الرفيعة في بلادهم.

انتداب الشيخ للتدريس في أول معهد علمي أقيم بالرياض: وفي سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) تأسس في الرياض أول معهد علمي تحت إشراف سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وانتدب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة للتدريس به في مادة التفسير

والحديث وفروعهما، وقد وجد طلاب المعهد في شيخهم المنتدب كنوزًا من المعرفة، تجمع بين القديم والجديد، وكثيرًا ما كانت دروس الشيخ تتحول بالأسئلة والمناقشة إلى علم الجغرافية والهندسة والفلك وآراء المذاهب القديمة والجديدة في هذه العلوم.

واستمر انتدابه سنة واحدة تقريبًا ثم عاد إلى مكة المكرمة.

إحالته إلى التقاعد: وبعد جهاد علمي متواصل، وخدمة للعلم في مختلف مجالاته، ونشر للمعرفة بكل الوسائل وبعد الأثر البارز الملحوظ الذي تركه رحمه الله في كل من الحرمين الشريفين، بلغ الشيخ السن القانونية التي يحال فيه الموظف إلى التقاعد، وهي الأربع والستون من العمر، صدرت الإرادة الملكية إلى سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بإحالته إلى التقاعد بكامل راتبه.

لقد أحيل الشيخ محمد عبد الرزاق إلى المعاش، بيد أن أحدًا لم يدرك ذلك غير أقاربه، أما الطلاب الذين كانوا يدرسون عنده، والذين يجتمعون في حلقات درسه الصباحية والمسائية فلم يشعروا بأي فرق في مجالس دروسه في الحرم الشريف وفي حجرته، بل زاد نشاطه في ذلك، وزاد عدد الطلاب عنده، كما شاهد المتصلون به زيادة اهتمام منه في التأليف والتعليقات على الكتب وكتابة المقالات في المجلات.

مرضه ووفاته: وفي الأيام الأخيرة أي منذ سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥) أصيب رحمه الله بعدة أمراض، وفي مقدمتها الروماتزم، وكان بقوة توكله على الله يتجلد ويقاوم تلك الأمراض، مع المحافظة على قراءة الكتب، ثم تفرغ لتلاوة القرآن والصحف أحيانًا، جالسًا أو مضطجعًا في البيت أو في غير بيته.

وقد دخل مستشفيات مكة والطائف للاستشفاء، ثم سافر إلى بيروت وتعالج في مستشفى الجامعة الأمريكية أيامًا، وأخيرًا سافر مع ابنه الأستاذ عبد الله حمزة إلى تركيا ودخل مستشفى من مستشفياتها المشهورة أيامًا، ثم عاد إلى مكة واشتدت عليه وطأة الأمراض، فأصبح من سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ملازمًا للفراش، وأخيرًا وافاه الأجل المحتوم في الساعة الثامنة بالتوقيت الغروبي من يوم الخميس ١٣٩٢/٢/٢٢هـ (١٩٧٢م)، وصُلِّيَ عليه في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب، ودفن بالمعلا- رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى.

مؤلفاته وآثاره العلمية:

١- كتاب الصلاة ويعتبر كموسوعة مصغرة لموضوع الصلاة، فقد جمع فيه كل ما يتعلق بالصلاة وأنواعها (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠هـ) ٢٠٠ صفحة.

٢- كتاب الشواهد والنصوص في الرد على كتاب هذي هي الأغلال (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٦٧هـ) ٢٠٠ صفحة.

٣- رسالة في الرد على بعض آراء الشيخ الكوثري (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠هـ) ٧٢ صفحة.

٤- كتاب ظلمات أبي رية (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٨هـ) ٣٣١ صفحة.

٥- الإمام الباقلاني وكتابه التمهيد في رسالة جمعت بحثه وبحث الشيخ بهجت البيطار والشيخ يحيى المعلمي- رحمهم الله- مطبعة الإمام بالقاهرة.

هذه هي مؤلفاته، وثم كتب نشرها بعد تصحيحها والتعليق عليها وهي:

١- عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر طبعة مكة المكرمة (١٣٤٩هـ).

٢- رسالة التوحيد للإمام جعفر الباقر دار العباد بيروت (١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م).

٣- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان المطبعة السلفية بالقاهرة (١٣٥١هـ).

٤- الباعث الحثيث إلى فن مصطلح الحديث المطبعة الماجدية بمكة المكرمة (١٣٥٣هـ).

٥- الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية المطبعة السلفية بمكة المكرمة (١٣٥٠هـ).

٦- رسالة الطلاق لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الطباعة المحمدية الأزهر بالقاهرة (١٣٤٢هـ).

٧- الكبائر للذهبي مطبعة الإمام بالقاهرة (١٣٧٣هـ).

٨- الاختيارات الفقهية طبع على نسخة كتبها بقلمه ويده.

٩- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، اشترك في تحقيقه وتصحيحه مع فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م).

١٠- ومن الرسائل التي ألفها ولم تطبع رسالة الله رب العالمين في الفطر والعقول والأديان.

وقد نشر منها رحمه الله فصولاً في مجلة الحج بمكة المكرمة. رحمه الله رحمة الأبرار وجعل الفردوس مثواه.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة الرابعة عشرة

إعداد/ علي حشيش

٣٩١- «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيه وَجَدَ حَلاَوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ورسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّه إلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». [متفق عليه من حديث انس]

٣٩٢- «لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فَمَنْ رغِبَ عَنْ أَبيهِ فَهُوَ كُفْرٌ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٩٣- «مَنْ ادَّعَى إلى غَيْرِ أَبيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غيرُ أَبِيهِ فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». [متفق عليه من حديث سعد بن ابي وقاص وابي بكرة]

٣٩٤- عَنْ جَرير قَالَ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ له في حَجَّةِ الوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فقال: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعضٍ». [متفق عليه من حديث جرير]

٣٩٥- «آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصارِ». [متفق عليه من حديث انس]

٣٩٦- «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، ومَنْ أبغضهم أَبْغَضَهُ اللَّهُ». [متفق عليه من حديث البراء]

٣٩٧- عَن أبي هريرةَ قالَ: «إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ العَمَلِ افضَلُ؟ فقال: «إيمانٌ باللَّهِ ورسولِه». قِيلَ: ثمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٩٨- عن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ قَالَ: سَأَلتُ النبيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلَى اللَّهِ؟ قال: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ حَدَّثَني بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَني. [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٣٩٩- عَن ابنِ مسعودٍ قال: سَأَلتُ النبيَّ ﷺ أيُّ الذَنْبِ أَعْظَمُ عِندَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٤٠٠- «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأكبرِ الكَبَائرِ ثلاثًا، قالُوا: بَلَى يَا رسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «الإِشْرَاكُ باللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». وجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُورِ». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. [متفق عليه من حديث ابي بكرة]

٤٠١- عَنْ أنس قالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَنِ الكَبَائرِ قَالَ: «الإِشْرَاكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وشَهَادَةُ الزُّورِ». [متفق عليه من حديث انس]

٤٠٢- «إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فيسب أمه». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٤٠٣- عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارِ». وقلت أنا: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّةِ». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٤٠٤- «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المجاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيقولُ: يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وكَذَا وقد بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنه».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٠٥- عَنْ عَائِشَةَ حَدَّثَتْ أَنَ النَّبِيَّ ﷺ كَان يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ يَقْرَأُ القُرْآنَ.

[متفق عليه من حديث عائشة]

٤٠٦- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رسولَ اللَّه ﷺ فَأَمَرْتُ المِقْدَادَ بنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «فِيهِ الوُضُوءُ». [متفق عليه من حديث علي]

٤٠٧- «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ فَإِنِّي أَرَاكم خَلْفَ ظَهْرِي». [متفق عليه من حديث أنس]

٤٠٨- «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُم أو ليُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». [متفق عليه من حديث النعمان بن بشير]

٤٠٩- «إِذَا اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا». [متفق عليه من حديث النعمان بن بشير]

٤١٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَو أَدْرَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ المَسَاجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»(١). [متفق عليه من حديث عائشة]

٤١١- عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ». [متفق عليه من حديث جبير]

٤١٢- عَن أنسِ بنِ مَالكٍ قَالَ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إمامٍ قط أَخَفَّ صَلاةٍ وَلاَ أَتمَّ مِنَ النبيِّ ﷺ وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّف مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ(٢) أُمُّهُ. [متفق عليه من حديث أنس]

٤١٣- «إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وأنَا أُرِيدُ إِطَالَتَها فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ في صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ». [متفق عليه من حديث أنس]

٤١٤- «كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي» يتأوَّلُ القُرْآنَ.

٤١٥- «بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنَ صلاةٌ». ثم قال في الثالثة: «لِمَن شَاءَ».

[متفق عليه من حديث عبد الله بن مُغَفَّل]

٤١٦- «كَانَ النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَقْعُدُ، ثُمَّ يَقُومُ، كَمَا تَفْعَلُونَ الآنَ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٤١٧- «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًا في اثْنَتَيْنِ: في حُبِّ الدُّنْيَا وطُولِ الأَمَلِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤١٨- «المَيِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِه بِمَا نِيحَ عليه». [متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب]

٤١٩- عَن أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: «نُهِينَا عَن اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا». [متفق عليه من حديث أم عطية]

٤٢٠- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأكُلُ مِنْه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».

[متفق عليه من حديث أنس]

---

(١) للجمع بين الحديثين: بوب البخاري بعنوان: باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج متعطرة.

(٢) تفتتن: أي تلتهي عن صلاتها لاشتغال قلبها ببكائه.

(٣) يتأول القرآن: أي يفعل ما أمر به فيه.

جماعة أنصار السنة المحمدية

إدارة الدعوة والإعلام

مشروع النهضة بالسنة النبوية

المسابقة الأولى

حرصًا من إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام على النهوض بالداعية وتيسيرًا على المتسابقين سنخصصها في السنة التي تحمل الجماعة اسمها.

والمسابقة تشمل الآتي:

أولاً: كتابة بحث في أحد الموضوعين:

١- كيف يمكن الرد على الطعون والشبهات المثارة حول السنة والسيرة النبوية قديمًا وحديثًا سواء عند المستشرقين، أم عند العلمانيين والمستغربين، أم عند القرآنيين، أم عند الفرق الضالة، أم تلك الموجودة في الموسوعات العالمية؟

٢- لاحظ المتابعون والمتخصصون في الدراسات الإسلامية أن عدة دراسات ظهرت في السنوات القليلة الماضية تناولت الإعجاز العلمي في السنة النبوية على غرار الإعجاز العلمي في القرآن كيف يمكن الاستفادة من هذه الدراسات في خدمة مختلف القضايا العلمية والفكرية الإسلامية؟

ثانيًا: حفظ (٣٦٠) حديثًا من (درر البحار) التي نشرت بمجلة التوحيد خلال السنة الماضية.

شروط المسابقة

١- أن يكون البحث موثقًا علميًا بذكر المصادر والمراجع.

٢- أن يكون مكتوبًا بخط واضح، ويفضل كتابته على «الكمبيوتر».

٣- أن لا يقل عن ٨٠ صفحة فلوسكاب.

٤- يُجرى اختبار تحريري فقط في حفظ الأحاديث يوم الأحد ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٦هـ بالمركز العام عقب صلاة الظهر.

جوائز المسابقة

- الجائزة الأولى: ١٠٠٠ جنيه.
- من الثاني إلى العاشر: ٥٠٠ جنيه.
- من الحادي عشر إلى العشرين: ٢٥٠ جنيهًا.
- من الحادي والعشرين إلى الثلاثين: ٢٠٠ جنيه.

آخر موعد لتسليم البحوث آخر ربيع الأول ١٤٢٦هـ للإدارة بالمركز العام.

مدير إدارة الدعوة والإعلام

الشيخ / علي حشيش



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإن الإعجاز العلمي في القرآن يقصد به عدم تعارض شيء من حقائق العلم مع مقررات القرآن الكريم، كما يقصد به مطابقة الحقائق العلمية لما ورد في شأنها من الآيات القرآنية.

ويخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية، ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعًا لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض أحيانًا، والخطأ أحيانًا أخرى، وتستمر هكذا حتى تقرب من الصواب، وتصل إلى درجة اليقين، وأي نظرية منها تبدأ بالتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطؤها، ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى.

والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية، يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعًا؛ لأن هذه المسائل التي تخضع لسنة التقدم تتبدل، وقد تتقوض من أساسها وتبطل، فإذا فسرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائض كلما تبدلت القواعد العلمية أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم، أو يقين يبطل التخمين.

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير فيحيي فيه عوامل النمو والارتقاء وبواعث الخير والفضيلة.

وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما في حثه على التفكير، فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وليس ثمة كتاب

من كتب الشرائع السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن.

يقول العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، اتجه الجواب إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر وكيف تتم؟ وهي داخلة في مدلول السؤال...

إن القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك النظريات الجزئية، ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي، أو كيميائي أو طبي... كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته لهذه العلوم، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله، إن مجال عمله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية، وإننا لنعجب لسذاجة هؤلاء المتحمسين الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه، إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني أيًا كانت الأدوات المتاحة له- فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة وهي مقيدة بحدود تجارية وظروف هذه التجارة وأدواتها، فمن الخطأ المنهجي- بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته أن تعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية وهي كل ما يصل إليه العلم البشري- هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية، فهي قابلة دائمًا للتغيير والتعديل والنقص والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، بظهور أداة كشف أو بتفسيرات جديدة لمجموعة الملاحظات القديمة، وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا- تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي، كما أنها تنطوي على معان ثلاثة لا تليق بجلال القرآن الكريم.

الأول: هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ومن يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

الثاني: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي أنه حقيقة نهائية جاء لهداية البشرية إلى طريق الله المستقيم باتباع رسوله الأمين ﷺ.

الثالث: هو التأويل المستمر مع التكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يوجد فيها جديد.

ومع هذه الحقيقة التي أثبتناها وهي أن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة وما يصل إليه البحث العلمي أيًا كانت الأدوات المتاحة له فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة وأنها قابلة دائمًا للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، فإن أي مسألة من مسائل العلم، أو قاعدة من قواعده، يثبت رسوخها، ويتبين يقينها، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا وحده إعجاز.

وكون القرآن كتاب هداية لا يمنع من ورود إشارات علمية سيقت مساق الهداية، هذه الإشارات تعقد من أجلها المؤتمرات في الطب والفلك وغيرهما بين حين وآخر، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. [فصلت:٥٣]

وقد أمرنا أن نتلو القرآن حق تلاوته وأن نتدبره حق تدبره، فقال سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقد أمر جل وعلا عباده بإطلاق البصر للتدبر والتأمل في الآيات المبثوثة على صفحات الكون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

وهذا المعنى مذكور في مواضع كثيرة من كتاب الله.

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ولسنا بصدد استقراء هذه الإشارات القرآنية فإنها أكثر من أن يستوعبها الحصر ولا يزال هذا القرآن يهب كنوزه ويتفجر عطاؤه ولا تنقضي عجائبه.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن القرآن كتاب هداية وإرشاد في المقام الأول، وأن ما ورد فيه من إشارات علمية إنما ورد في مقام الهداية والإرشاد، وأن مقصودها الأول أن تكون دليلاً على عصمة هذا الكتاب وأن الذي جاء به رسول من عند الله.

وقد تعامل الناس مع الإعجاز العلمي بطرائق ثلاث:

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن الناس في قضية الإعجاز طرفان ووسط بينهما:

١- فمنهم من غلا في هذا الباب، فأخذ يلهث وراء كل جديد في نظريات العلم يفسر به بعض آيات الكتاب لعله يتكلف إعجازًا أو يعتسف برهانًا مع ما في ذلك من التقرير بصدق هذا الكتاب عندما تتبدل هذه النظريات ويظهر عوار هذه التفسيرات.

٢- ومنهم من فرط فأغلق هذا الباب بالكلية فرارًا من المحاذير التي تورط فيها الفريق الأول مع ما في ذلك من تفويت الإفادة من هذا الوجه الحيوي من وجوه الإعجاز.

٣- والمتوسطون بين هؤلاء وهؤلاء من أحكموا ضوابط البحث في هذا المجال، ففرقوا بين الحقائق والنظريات، ولم يربطوا كتاب الله بنظريات متغيرة. كما لم يتعسفوا في تفسير الآيات القرآنية لتلتقي مع الحقائق العلمية، بل أقاموا منهجهم في البحث على ثلاث دعائم:

الأولى: الحقيقة الشرعية، وفيها يحرصون على التثبت من أنهم أمام حقيقة شرعية مستيقنة، وسبيلهم إلى ذلك تحقيق هذا الجانب مع الثقات العدول الفحول من علماء الشريعة.

الثانية: الحقيقة الكونية، وفيها يحرصون على التثبت من أنهم أمام حقيقة كونية قد اتفق عليها قادة هذا التخصص على مستوى العالم، وأجمعوا على تجاوزها مرحلة الاحتمالات والنظريات.

الثالثة: وجه الإعجاز، ويشترط فيه ألا يتضمن الربط بين الحقيقتين: الكونية والشرعية نوعًا من التكلف أو التعسف أو الخروج على الظاهر المتبادر بغير برهان ساطع، وإن من بوادر الخير في هذا المقام تأسيس هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، وهي أول هيئة علمية متخصصة تعني بدراسة هذا الوجه من وجوه الإعجاز.

بطلان القول بالصرفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح: «ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا». انتهى.

وقد زعم النظام وهو أحد رءوس المعتزلة وإليه تنسب فرقة النظَّامية وهو شيخ الجاحظ وكالمرتضي من الشيعة إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقًا للعادة، أو أن الله سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل هذا القرآن، ويؤول هذا القول إلى أن القرآن ليس معجزًا لذاته، وإنما يرجع إعجازه إلى هذا الصارف الإلهي الذي زهدهم في المعارضة أو إلى العارض المفاجئ الذي عطل مواهبهم البيانية وقدرتهم البلاغية.

وهذا القول باطل من جملة وجوه:

أولاً: أنه لو صح لكان الإعجاز في الصرفة لا في القرآن ذاته، وهو باطل بالإجماع.

ثانيًا: أنه لو صح لكان تعجيزًا لا إعجازًا، لأنه يكون بمثابة ما لو قطعنا لسان إنسان وكلفناه بالكلام فهو من باب التعجيز وليس من باب العجز.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم فإنه يصبح بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بالأمر الكبير الذي يحتفل بذكره.

وإلى لقاء إن شاء الله

لمحات من حياة الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني

• الحلقة الرابعة •

بقلم/ أ.د
عبد الله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد: نكمل ما ذكرناه من حياة الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى . فنقول:

رابعًا: دفاع الصنعاني عن العقيدة ونشر علوم السنة النبوية

لقد أسهم الصنعاني إسهامًا وفيًا في الدفاع عن العقيدة بقلمه ولسانه وتوجيهه الحكام إلى ما فيه الخير والصلاح لدينه وأمته، ويذكر لنا الصنعاني شيئًا من ذلك فيقول: «لما درسنا في الجامع الكبير في التفسير على الكرسي تدريسًا عامًا ممزوجًا بالوعظ والتذكير من سنة ١١٥٤هـ، وانتشر منه خير كثير من تعليم الشرائع وإشاعة السنة النبوية، وكان يحضره أمم من الناس لا يحصون من كبير وصغير، وأقبل الناس على الطاعات، وعمرت بيوت الله بالصلوات في أوقاتها والجماعات، أغاظ إبليس ذلك الخير العام، فألقى في قلوب جماعة بأن يسعوا بنا إلى الإمام المنصور بالله الحسن بن القاسم رحمهما الله، وقالوا له: إنا نحرض على مخالفة مذهب الآل، وفعلوا إليه رسائل، فيها زور وبهتان وجهل وهذيان، وكاد أن يميل إلى أقاويلهم، ووقع بيننا مناظرة، فعصمه الله تعالى وأظهر له الحق، كما ظهر لكل أحد غير من ملئ قلبه بالغل والحسد، ومزق إحدى الرسائل بيده، وأمرني أن أجيب على الأخرى فأجبت عليها برسالة سميتها: «السهم الصائب في نحر القول الكاذب»[1]، واستمر الصنعاني يدافع عن العقيدة الصحيحة وسط هذا الجو والبيئة التي لا تعرف إلا البدع والمنكرات، وقد أرشد المهدي العباسي إلى إزالة أصنام كانت «ببندر المخا»[2] لطائفة «البانيان»[3]، وألف رسالة في ذلك نفيسة، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتها وقبض جميع أموالها، وأحضروا صنمًا إلى الإمام المهدي منها وكان الصنعاني لديه، فأمر الصنعاني بكسره، وكان في صورة أنثى وديس النعال[4]، كما حرَّض المهدي على بعث معلمين للصلاة في جميع القرى والمدن والبوادي وإزالة منكرات المعتقدات من الأشجار والأحجار والقباب على الأموات والإرشاد إلى الطاعات، فأرسل المهدي جماعة من الصالحين وأمر بتعليم الصلاة في مدينة صنعاء وغيرها، وجعل للمعلمين جراية من بيت المال، فسارع الناس إلى الطاعات وأزيلت المنكرات[5].

وفي سنة ١١٧٠هـ كتب إلى المهدي العباسي قصيدة يحذره فيها من تصديق المنجمين ويهنئه بدخول ذلك العام، ومما قال له:

ولا تستمع من عابد لنجومه
تقاويم زور ليس تغني ولا تجدي
أكاذيب يمليها لكل مغفل
يصدقها من ضل عن طريق الرشد

والله ما عند النجوم دلالة
على نحس يوم في الزمان ولا سعد
ووالله ما غير الإله بعالم
بما في غد مما يسر وما يبدي[٦]

وهكذا استمر الصنعاني في نشر عقيدة التوحيد ومحاربة المنكرات بين العامة والخاصة، وكما جاهد في سبيل ذلك، جاهد في سبيل نشر الحديث وعلوم السنة النبوية في الوقت الذي اندرست فيه السنن والآثار وفي ذلك يقول الصنعاني:

كان الحديث بأرضكم
مستغربًا والله جدا
حتى نشرت فنونه
وجلوت منه ما تصدى
ولدرسه ولأخذه
من بعدنا كل تصدى[٧]

ومن منطلق دعوة الناس إلى العمل بالسنة وترك ما عداها كان لزامًا على الصنعاني أن يبين للناس فساد طرق المخالفين للسنة وضلالهم، وفي هذا يقول:

أي الكتاب كفت دلالتها
صحب الرسول وعابد الوثن
وانقاد كل بالزمام لها
أهل الذكاء والفهم والفطن
لكن طلبت الحق من طرق
معوجة ليست على سنن
قد كان فيها الجبائي سلفا
والأشعري[٨] أيضًا أبو الحسن
والجعد قبلهما وجهم لقد
باعا الهدى جهلا بلا ثمن[٩]

وقد عرف عن الصنعاني تمسكه بالسنة ونشر كتبها وعلومها، فوصفه الشوكاني بعكوفه على كتب الأمهات وسائر كتب الحديث عاملاً بما فيها[١٠]، وقال عنه المؤرخ زبارة: «واستمر البدر الأمير على نشر العلم والسنة والدعاء إلى العمل بها، حتى انتشرت كتب الحديث واشتغل الناس بها وتنافسوا فيها»[١١]، وهكذا ذكر عن الصنعاني كل من ترجموا له[١٢].

والصنعاني كان حريصًا كل الحرص على نشر علوم الكتاب والسنة والتمسك بهما في حياته، وكان يدعو ربه أن يستمر ذلك بعد وفاته، حتى يضم ذلك إلى ميزان حسناته في يوم الدين، يقول رحمه الله في ذلك:

خدمت كتاب الله والسنة التي
أتتنا عن المختار من صحبه الغُرّ
نشرت لواها في دياري ولم يكن
لواها بمنشور وسائل من يدري
وأرجو بأن يبقى الذي قد نشرته
بها دائمًا حتى يدوم إلى الحشر
ليجري لمن قد سَنَّ ذلك أجره
كما صح في الأخبار عند ذوي القدر[١٣]

وقد تم بفضل الله للصنعاني ما أراد، فانتشرت علوم السنة النبوية، وتمسك الناس في الغالب بكتاب ربهم، وقد لاحظت ذلك بنفسي بين الشباب المثقف وأبناء الجامعات في اليمن، وإن النهضة العلمية والمسيرة السلفية الصحيحة التي تغمر العالم الآن لهي من ثمرات دعوة التجديد التي قام بها الشيخان الفاضلان: محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن إسماعيل، ومن قبلهما ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من علماء هذه الأمة رحم الله الجميع، وثبتنا على دينه.

خامسًا: دعوته إلى خروج اليهود من اليمن وهدم الكنائس

دعا الصنعاني إلى ضرورة إخراج اليهود من اليمن، لأنها من جزيرة العرب، ويشملها حديث رسول الله ﷺ في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وقد تتبع الصنعاني وذكر بعض الأحاديث التي تؤيد ذلك، وأن اليمن من جزيرة العرب[١٤]، وقد ناقش الأقوال في هذه المسألة ورجح خروج اليهود والنصارى من اليمن، ومما قال: «فالحق وجوب إجلائهم من اليمن لوضوح دليله، ولا يخفى أن البانيان هم المجوس، والمجوس حكمهم من حكم أهل الكتاب لحديث: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»، فيجب إخراجهم من أرض اليمن، ومن كل محل من

جزيرة العرب، وعلى فرض أنهم ليسوا بمجوس، فالدليل على إخراجهم دخولهم تحت: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[١٥]، ولم يكتف الأمير بكتابة ذلك، بل ذهب إلى المتوكل ونصحه وقال له: إنه يجب عليك إخراج اليهود من جزيرة العرب التي منها اليمن كما أوصى به النبي ﷺ، فإن لم يتم إخراجهم فلا أقل من إلزامهم الصغار وخراب ما زادوه من الكنائس مما لم يؤذن فيه، فأمر المتوكل عند ذلك بخراب الكنائس، ولكن المتوكل بعد هذا رجع عن هدم الكنائس لما قال له يوسف بن المتوكل إن الأئمة قد أقرتهم على ذلك، وعلم بذلك الأمير فطلبه للمناظرة فدخل يوسف بن المتوكل على البدر بحضرة المتوكل، وقال للبدر: كيف يصدر منكم هذا؟ فقال البدر: أما خراب الكنائس فأمر سهل، إنما أطلب من الإمام تنفيذ وصية رسول الله ﷺ بإخراج اليهود من جزيرة العرب، فقال يوسف: وأين هذا الحديث؟ فقال البدر: هو في كتب الحديث وغيرها من شرح الأزهار، فأمر المتوكل أحمد بن عبد الرحمن الشافعي أن يحضر شرح الأزهار فجاء به ففتح البدر على الحديث، فقال يوسف بن المتوكل عند ذلك: إن السيد محمد منطيق وأنا على المنطيق لا أطيق»[١٦].

ولهذا لم يسلم البدر الأمير من اليهود وكيدهم، وهم المعروفون بذلك، فكانوا يكذبون عليه، ويقولون عنه ما لم يقله، ويذكر المؤرخ زبارة حادثة توضح ذلك فيقول: «وثب رجل سكران على بعض الصبيان في مطاهير بعض المساجد وأراد منه الفاحشة فاغيث وخلص منه، فرفع الأمر إلى المتوكل فغضب وطلب سالمًا العراقي كبير اليهود وشيخهم، وقال له: قد منعنا اليهود عن بيع الخمر من المسلمين وأنت مرخص لهم في بيعه، فأجاب اليهودي: قد أفتانا السيد محمد الأمير والسيد الحسن بن إسحاق بجواز بيعه منهم، وكأنه لقن هذا الجواب من بعض حُسَّاد البدر، فلما بلغه جواب اليهودي دخل على المتوكل وقال: بلغني أنه قال اليهودي أني أفتيت بحل بيع الخمر من المسلمين وهذا كذب عليَّ، فأحضره الآن لتعرف حقيقة كذبه، وتعرف ما قد فعله اليهود مما ينافي الصغار والذلة وتكثير الكنائس بالعمارات ومزاحمة المسلمين في الطرقات وغير ذلك، فاستدعاه الخليفة وقال له: كم الكنائس في قريتكم؟ فشرع يعددها بأسمائها والمتوكل يكتب الأسماء، فقال البدر: ها رأيتم كم عمروا، فعند ذلك تلكأ اليهودي وغالط، ثم قال البدر لليهودي: أنت قلت أني أفتيتك بجواز بيع الخمر، ففي أي وقت لقيتني وأفتيك أو كتبت لك بخطي فتوى؟ فتردد، ثم قال: قال لنا عالمنا، فظهر للمتوكل كذبه، فأمر به إلى السجن، فقال البدر: ويقيد أيضًا»[١٧].

---

(١) انظر ديوان الصنعاني (ص٣٨١، ٣٨٢)، وقد جمعه ابنه وضمنه معلومات متفرقة عن أبيه كالذي ورد ذكره هنا.
(٢) مدينة باليمن. (٣) المراد بهم المجوس. (٤) نشر العرف (ج٣/٤١).
(٥) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة. (٦) ديوان الأمير الصنعاني (ص١٥٧).
(٧) المرجع السابق (ص٩٤)، وانظر الفصل الثاني من كتاب ابن الأمير وعصره (ص١٤٧- ١٩٥).
(٨) هذا ينطبق على الأشعري قبل رجوعه إلى مذهب السلف، لأنه كان معتزليا، وقد أوضحت ذلك في مقدمتي لكتابه رسالة إلى أهل الثغر.
(٩) ديوان الصنعاني (ص٣٨٨). (١٠) البدر الطالع (٢/١٣٤). (١١) نشر العرف (ج٣/٣٢).
(١٢) انظر مثلاً أبجد العلوم لصديق حسن خان (ج٣/١٩١)، وفهرس الفهارس للكتاني (ج١/٥١٣)، وعنوان المجد لعثمان بن بشر (ج١/٥٣- ٥٦).
(١٣) انظر ديوان الصنعاني (ص٢٠٤)، وهذه الأبيات من قصيدة طويلة قالها الصنعاني قبل وفاته في شهر جمادى الآخرة عام ١١٨٢هـ، وقد سأل فيها الله كثيرًا أن يعفو عنه ويغفر له، ويعتذر عن عدم السفر لمكة بيت الله الحرام لعجزه مع تشوقه إلى بيت ربه.
(١٤) انظر تفصيل ذلك في سبل السلام (٤/١٣٦٦- ١٣٦٩). (١٥) المرجع السابق (ج٤/١٣٦٨، ١٣٦٩).
(١٦) انظر: نشر العرف (ج٣/٣٦، ٣٧). (١٧) المرجع السابق (ج٣/٣٦).

دروس من التاريخ الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد:

فأوصيكم - عبادَ الله - ونفسي بتقوى الله عز وجلّ، فمن رامَ خيرًا كثيرًا وأراد رزقًا وفيرًا ونشد مَقامًا كبيرًا فعليه بتقوى الله، فمن حقّقها حقّق في الدنيا مجدًا كثيرًا، وجزاه ربّه في الآخرة جنّة وحريرًا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر:١٨].

منبر الحرمين

أيها المسلمون، وعلى إثر هذه الوصية الجامعةِ نبارك لأمتنا الإسلامية بإشراقةِ شمس هذا العام الهجريّ الجديد العام السادس والعشرينَ بعد الأربعمائةَ والألف من هجـرة المصطفى ﷺ، ونبتهلُ إلى المولى جلّ في علاه أن يُهلّ هذا العامَ على أمّةِ الإسلام بالأمن والأمـان، والسـلامـة والإسلام، والتوفيقِ لما يحبّه ويَرضـاه، فـإنّه إذا اسـتُعين أعان، وأن يجعلَ هذا العامَ عامَ نصر للإسلام والمسلمين في كلّ مكان، وأن يَعمّ بالخير والعَدل والسّلام كافّةَ بني الإنسان، وأن يجعلَ حاضرَ أيّامنا خيرًا من ماضيهـا، ومستقبلَها خيرًا من حـاضـرِها، وأن يحـفظَ أمّةَ الإسلام من شرور الفتَن والحوادِث وغـوائلِ المحن والكوارث وظواهرِ العنفِ والإرهاب، إنّه سبحـانه المولى الكريم الوهّاب.

معـاشرَ المسلمين، في ظلّ ازدلاف الأمّة إلى سنة جديدة وتطلّعها لأوضاع مستقبليّة مشرقةٍ رغيدةٍ تبرز بجلاء قضايا حوليّة موسميّة، جديرةٌ بالإشادة والتّذكير، وحفيّةٌ بالوقوفِ والتّبصير، علّها تكون مـحركًا فـاعـلاً يستنهض هممـهـا، ويشحَذ عزائمَها لمراجعةِ ذاتها وتدقيق حساباتها وتحديد رؤاها ومواقفها وتقويم مسيرتها؛ لتستعيدَ تاريخَها المجيد ومجدَها التليد وما امتازت به مِن حضارةٍ عَريقة وعالمية فريدة، بوّأتها في الطّليعةِ بَين أممِ الأرض جميعًا والإنسانيّة قاطبة.

إخوةَ الإيمان، إنّ أجلى قضايا المناسبةِ تكمُن في رقفةِ المراجعة والمحاسبة، فاستقبالُ الأمّة لعامٍ جديد هو بمجرّدِه قضيّةٌ لا يُستهان بها، وإن بدا في أنظارِ بعض المفتونين أمرًا هيّنًا، لطول الأمل والغفلةِ عن صالح العمل، وإنّ في مراحلِ العمُر وتقلّبات الدّهر وفجائع الزمان لعِبَرًا ومزدجرًا ومَوعظة ومُدكرًا، يحاسِبُ فيها الحصيف نفسَه، ويراجع مواقفَه، حتى لا يعيشَ في غَمرة ويؤخَذَ على غِرّة، ويكون بعد ذلك عِظةً وعـبـرة. ولئن أُسدِل الستـار على عـام مـضى وحولٍ انقضى بأحداثه ووقائعه وآلامه وآماله فإنّ كلّ مـاضٍ قد يُستَـرجَع إلا العـمُـر، فإنّه نقص في الأعمالِ ودُنوٌّ في الآجال.

فكم من خطوات مـشـيناها وأوقـاتٍ صرفناها ومـراحل قطعناها، ومع ذلك فـالإحسـاسُ بمضيّهـا قليل، والتذكّر والاعتبار بمرورها ضئيل، مهما طالت مدّتها وعظُمت فتراتُها ودامت بعد ذلك حسراتها.

معـاشر الأحبّة، إنّ عـجلةَ الأعمار وقطارَ الزّمن يمضي بسرعةٍ فائقة، لا يتوقّف عند غافلٍ، ولا يحابي كلَّ ناسٍ ذاهلٍ، كم ودّعنا في العـام المنصرم مِن أخ أو قـريب، وكم فـقـدنا من عـزيزٍ وحـبـيب، سبـقـونا إلى القبـور، وتركوا عـامرَ الدّورِ والقصـور، فإلى مـتى الغفلةُ يا عباد الله؟! وماذا ران على قلوبنا؟! وماذا غشي أبصارنا وبصائرنا؟!

إنّ الموفّق الواعي من سَعى لإصلاح حالِه ليسعَدَ في مـاله، والكيِّسَ الملهَمَ من أدام المحـاسبـةَ وتفـقّد رصـيـدَ الآخـرة وحـاذَر كلَّ لوثةٍ عـقـديّة وفكرية وسلوكيّة؛ ليـحـيـا حـيـاةَ السـعـداءِ ويُحـقّق نُزُلَ الشهداء، وما ذلك بعزيزٍ على ذي المنّ والعطاء.

إخوة الإسلام، ولئنْ دار الزمان دورتَه فإنّ العامَ الهـجـريّ الجـديد ضيفٌ مـحـبّبٌ لطـيف ومَغنَم آهِلٌ وريف، فـيـه الأمل والانشـراح، والتـفـاؤل والارتيـاح، وهجرٌ للمآسي والجراح، ولكن بكلّ أسى انبلَج صُبحُ هذا العـام الجديد ولم تخـتطّ أمّتنا الإسلاميّة بعدُ سبيلاً يبلُغ بها معارجَ العزّة والصلاح، ولم تقِم لها عزًّا يعصِمها من تطاوُل الطامع والمجتاح، ومع هذه

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن السديس

إمام المسجد الحرام

الخطوب الوشيكةِ الملمّة والعواصفِ المحْدقة المدلهمّة يبقى التفاؤل ديدنَنا، والأملُ المشرق رائدَنا، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨]. وإنّنا لنرجو الله سبحانَه أن تكونَ مناسبةُ الهجرةِ النبويّة خيرَ أوانٍ للتّصحيح والمراجعة، وأفضلَ زمانٍ للتّصفية والمحاسبة، لتدركَ الأمّة أن تأسيسَ الأمور وإحكامَها وتمهيدَ القواعدِ وإتمامَها رهينُ استعصامِها بكتاب ربّها واستمساكها بسنّة نبيّها، كيف وفيهما الفلَقُ والسناء، والفَرقُ بين النعيم والشقاء؟! في معتقدٍ صحيح ومنهجٍ سليم، ليس يعروهما ريبٌ ولا امتراء، ومن تطلّب المجدَ والكمالَ في سواهما فقد رامَ المحالَ، وباء بالوبالِ، وليس له من دون الله من وليٍّ ولا وال.

أيها المؤمنون، إنّه لن تستبدلَ الأمة ضعفَها بالقوّة وهوانَها بالعزّة إلا إذا عادت إلى ذلك الطّرازِ العالي الذي سطّره السّلفُ في العصور الخوالي، أعني إبرازَ الحقائقِ والمحاسن لهذا الدّين التي سعِد بها المصطفى وأصحابُه رضي الله عنهم، وأسعَدوا بها العالَم قرونًا من الزمان، وسيُصلح الله شأنَنا إذا نظَرنا في مرآةِ الشريعة ما شانَنا، وممّا يعين على امتثال ذلك لزومُ الصدق مطلقًا مع النفس والمجتمع والأمّة في القول والعمَل والملّة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وما ازدهارُ الأمَم ورفعتُها إلا ثمرةُ الأعمال الصادقة المخلِصة التي يقدّمها رجالُها المخلصون البرَرَة وبنوها الصادقون المهَرَة.

إخوةَ العقيدة، ما أحوجَ الأمّةَ الإسلاميّة اليومَ وهي تتفيّأ ظلالَ عامٍ جديد مفعَم بالتفاؤل والتّطلّعات للخروج من الفتَن والمشكِلات وتجاوُز العقبات والأزمات ومواجهة التحديّات والنكبات أن تقرأ تاريخها؛ إذ فيه العبَر.

اقرؤوا التاريخَ الإسلاميّ لتدركوا كيف كانت أحداثُه العظام ووقائعُه الجِسام نقطةَ تحولٍ كبرى، لا في تأريخ الأمّة الإسلاميّة فحسب، بل في تأريخ البشريّة قاطبة. اقرؤوا التّاريخ لترَوا كيف كانت وقائعُه العظيمة منعطفًا مهمًّا غيّر مجرى التاريخ الإنساني برُمّته. اقرئي - يا أمّتي - تاريخَك المجيد لتعلَمي كيف أرسَت مصادره وأحداثه مبادئَ الحقّ والعدل والأمن والسّلام، وكيف رسَخت وقائعُه منذ ما يزيد على أربعةَ عشَرَ قرنا من الزمان مفاهيمَ الحوار الحضاري التي يتنادى بها العالمُ اليومَ.

أيّتها الإنسانيّة الحائرة، لتخرجي من الأحكام الجُزاف الجائرة اقرئي تاريخ حضارتِنا الإسلامية، لترَيْ بأمِّ عينيك كيف كفَل الإسلام حقوقَ الإنسان بجدارةٍ، أزال الطبقاتِ، ومحا العنصريّات، وألغى الفروقَ والتّمايزات، في وحدةٍ تتضاءَل أمامَها الانتماءاتُ العنصريّة والأواصر والعلاقاتُ المادية، بل تضمحلّ أمامها كلُّ دعاوى الجاهلية.

إخوةَ الإيمان، الارتباطُ التاريخي الوثيق والانتماء الحضاريّ العريق يؤكّد أنّه ليس غيرُ العقيدةِ الإسلاميّة الصحيحة جامعًا للعِقد المتناثر، ومؤلّفًا للشّتات المتناكر، وناظمًا للرّأي المتنافر، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]. فهل تعي الأمّة بعد هذا التمزّق المزري والتخلّف المخزي والتيه في الأنفاق المظلمة وسراديب الغواية المعدمة أنّه لا دربَ سوى الإسلام، ولا إمامَ غير القرآن، ولا نهجَ إلا نهج سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام؟! ألم تستيقِن الأمّةُ أنّ التخلّيَ عن العقيدة والتساهلَ بأمر الشريعة والتفريطَ في الثوابت والمبادئ والتقصيرَ في المثُل والقِيَم مالُه شقاءُ المجتمعات وانتقاضُ الحضارات وهَلاك العباد وخَراب البلادِ وطريقُ البوار وسَبَب الانهيار وحلول التّبار، وبالتالي قرّة عيون الأعداء وتحقّقُ الدّمار؟! فهل يدرك أصحاب الرأي والنّظَر ودهاقنة الحلّ والفكر أنّ التحديّات السابقةَ والمعاصرةَ والتّصادمَ الحضاريّ والعِداء الثقافي والفكري إنما مردُّه إلى ثوابتَ عند الغير، لا يتحقّق الانتصارُ عليها إلا بالتمسّك بمَوروثِنا الحضاريّ العريق الذي ينضَح خيرًا وسلامًا للبشرية كافّة، وأمنًا وسعادةً للإنسانية قاطبةً، في بُعدٍ عن مسالك العنفِ والإرهاب التي أقضّت مضاجعَ العالم، ولا مخلّصَ له منها إلاّ إعلاءُ القيَم الإنسانيّة والإسلاميّة والتّأكيدُ على مبدأ الحوار الحضاريّ، بلا تميُّع ولا انهزاميّة.

اقرؤوا التاريخ لتدركوا أنّ الحوارَ مع الآخر يجب أن يُبنى على الإصلاح من داخلنا وقناعاتنا، لا بإملاء غيرنا علينا، حينما تمتلئ النفوس محبّةً

ونزاهةً ومودةً وحنانًا، وتوضع اللّوائحُ المرعيّة وتُرسَم الضّوابطِ الشرعيّة لحركةِ الانفتاح الفكريّ والثقافيّ والتّربويّ والإعلاميّ.

أمّة الإسلام، ومِن غيوم الفِتن التي تصاعدَ دُخانُها في سماءِ الأمّة ويُرجى مع بدايةِ العام انقشاعُ هذه الغُمّة ما مُني به الإسلام والمسلمون مِن حملةٍ إعلاميّة ظالمة وهجمة دعائيّة عاتية من أقوامٍ غلا الكيدُ من مراجِل قلوبهم، فطفح زَبدُ أقلامهم، وعَلا فحيحُ إعلامهم، ولم يهتدوا للوقوف على معاني الإسلام وحقائقِه، فناصَبوه الهجوم، وبدا على سُبُحاتِ وجوههم الوُجوم!.. وفي مقابلِ أولئك جماعاتُ الغلوّ والتكفير وفئات العنف والتدمير.أمّةَ الإسلام، ومِنَ الظواهر الخطِرة التي مُنيَ بها العالَم اليومَ ويترقّب كلُّ محبٍّ للخير والسلام تواريَها خلالَ هذا العام ظاهرةُ الإرهاب العالميّة الذي يعدُّ بحقٍّ جريمةَ هذا العصر. ولقد سعِد المتابعون لقضايا أمّتهم بما تحقّق من إنجازٍ يستحقّ الإشادةَ خلالَ ما عُقِد في رحاب بلاد الحرمين - حرسها الله - من المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب، وما نتج عنه من توصياتٍ وقرارات جديرة بالمتابعة والتنفيذ لعلاج هذه الظاهرة العالمية الخطيرة التي تجاوزت حدودَ الزمان والمكان والدّيانة والجنسيّة؛ لكي يفيءَ شباب الأمة إلى منهج الاعتدال والوسطية وإظهار سماحة الإسلام وما ينضح به من معالي الشيَم وفضائل القيَم للإنسانية جمعاء، فما كان العنف يومًا محقّقًا لمجد، ولا صانعًا لحضارة، ولا محافظًا على إنجازات، ولا مبقيًا على مكتسبات، بل جرثومة قذرة وحربٌ مدمِّرة تقضي على الأخضر واليابس، ولعلّ إخضاعَ هذه الظاهرة للدراسات المستفيضة عبر مراكز علمية متميّزة وهيئات استشارية متخصّصة يُسهم في علاج الإرهاب وتجفيف منابعه عبرَ أسلوب ناجحٍ ودواء ناجع، يحقّق المصالح ويدرأ المفاسد.

ولقد قرّتِ الأعينُ بالمقترَح الموفّق بإنشاء مركزٍ دوليٍّ لمكافحةِ الإرهاب وحملةِ التضامن التوعويّة لمعالجته في أنموذجٍ مشرق، يشدّ الأكفُّ بالأكفِّ من جميع شرائح المجتمع وأطيافه وقنواته؛ لاستئصال شأفته والقضاء عليه.

فهل يعي المتورِّطون والمزايدون والمحرِّضون والسّاكتون خطورةَ الأمر، فيرجعوا إلى صوابهم ويفيئوا إلى رشدهم؟! فالعود أحمد والفيء أرشد. وهل يقرأ أولئك التاريخ وينظرون في السنن الشرعية والنواميس الكونية؟! وهل يكفُّ المصطادون بالماء العكِر عن كلِّ ما يزيد الطينَ بلّة والداء علّةً؟! وهل تكفّ وسائل المعلومات والفضائيات والتقانات عن كلِّ بواعثه وأسبابه ومهيِّجاته، وتحذرَ المواقف المتشنِّجة والملاسنات المسِفّة وكلَّ ما يبعث على العنف والجريمة، ويتواصى الجميع بالعودة إلى الله والخروج من المظالم العامّة والخاصّة؛ ليتواردَ الجميع سفينة النجاة بمنهج الاعتدال الذي لا غلوّ فيه ولا جفاء؟! حينذاك تنجلي سحابة الإرهاب القاتمة، وتعيش البلاد والعباد في مأمنٍ من غوائل الشرور وسوء العواقب في الأمور.

أمّةَ الإسلام، إنّه حينما تتقاذف سفينةَ الأمّة أمواجُ الفتن فإنّ قواربَ النجاة وصِمامات الأمان مرهونةٌ بولاءِ الأمة لدينها وتمسُّكها بعقيدتها، وحينَما يُجيل الغيور نظرَه في واقع أجيالٍ من المنتسبين إلى أمّتنا اليومَ ويرى التبعيةَ والانهزامية أمام تيّارات العصر العولميّة ومبادئ المدنيّة الزائفةِ ويُقارن بينهم وبين جيلِنا التأريخي الفريدِ يدرك كم كانت وقائع تاريخنا المشرق الوضاء وحوادثُ سيرتنا العَطِرة سببًا في العزّة والكرامة وسبيلاً للبذلِ والتضحية والفداء.

وإنّ من التطلّعات الملحّة استتبابَ الأمن والأمان في سائر ديار الإسلام، لا سيما في الأرض المباركة فلسطين وفي بلاد الرافدين والشعوب المستضعفة والمضطهدة في كلّ مكان.

وفي خِضَمّ هذه الظروف الحوالك التي اختلطت فيها المسالك يتأمّل قُرّاء التاريخ ويتساءلون: أين دروسُ الهجرة وعِبَرها من شعاراتِ العصر بإنسانيّته الزائفة وديمقراطيّاته المزعومة وحرّيّاته الموهومة التي تُحسَب على دعاتها مغانمَ وعلى [غيرهم] مغارم، في غيابِ المنهجية الشوريّة المصطفويّة؟! أينَ دروس التأريخ وعِبَر الهجرة وأخوّة المهاجرين والأنصار من أناسٍ مزّقهم التشرذم، وأحلّوا العداوة والخِصام محلّ المحبة والوئام، وترسّبت في سويدائهم الأحقاد، وتأجّج في قلوبهم سعير الحسَد والبغضاء والغلِّ والشحناء، حتى تمزّقت الأواصر وساد التفكُّك الأسريّ والاجتماعيّ كثيرًا من المجتمعات؟!..

اقرؤوا التاريخ – يا رعاكم الله – لتجدوا كم تحتاج العقيدةُ والرسالة إلى وطنٍ ودولة وسلطان ينافح عن كيانها، ويذبّ عن بيضتها، ويذود عن حماها. ألا فليتيقّن دعاةُ الإصلاح في الأمّة أن لا عقيدةَ ولا تمكينَ إلاّ بجماعة، ولا جماعةَ إلاّ بإمام، ولا إمامَ إلاّ بسمعٍ وطاعة، لتُدرأ عن الأمّة غوائل الشرور والفتن وعادياتُ الاضطراب والمحن.

وفي الميدان التربويّ يجب أن يقرأ التربويّون تاريخَنا ليَروا كيف تربّى البيتُ المسلم على نُصرةِ العقيدة والولاء للقيادة، وكيف كان للشباب المسلم والمرأة المسلمة دورٌ أيّما دور في نصرة العقيدة والقيم والفضائل، وأن السعادة والصلاح والخير والنجاح يكمن في التمسّك بالمبادئ والأصول والثوابت.

وبعد: أيها المسلمون، فتلك إلماحةٌ إلى شيءٍ من وقائع التّاريخ ودروس السّيرة وعِبَرها، تظهر في حدثِ الهجرة النبويّة، تُقدَّم للأمّة في مستهلّ عامها وفي مرحلة من أخطرِ مراحلِها، علّها تكون نواةً لمشروع حضاريّ إسلاميّ إنسانيّ، يُسهم في صلاح الحال وتقويم المسار، ويمثّل بَلسمًا شافيًا لعلاج الحملات الإعلاميّة المسعورة وسهام الحقد الطائشة ضدّ دينِنا وأمّتنا ومجتمعنا وبلادنا، التي ما فتئ أعداءُ الإسلام يصوِّبونها تجاهَنا، مستغِلِّين نقاطَ الضّعفِ في الأمة، ويتصيّدونَ أخطاءَ بعضِ أبنائها النّشاز.

ألا ما أشدَّ حاجتَنا – ونحن نستشرف آفاقَ العام الهجريّ الجديد – إلى وقفاتِ تأمُّلٍ ومحاسَبة، ومراجعةٍ جادّة لاستثمار كلّ ما يعزِّز مسيرةَ أمتنا؛ لتزدلِفَ إلى عام جديد وهي أكثر عزمًا وأشدُّ مضاءً لفتح آفاقٍ مشرقةٍ لإسعادِ الإنسانية لتتبوّأ مكانتها الطليعيّة ومنزلتَها الرّياديّة فوقَ هذا الكوكب الأرضيّ الذي ينشُد سكّانُه مبادئَ الحقّ والعدل والأمن والسّلام، ولن يجدوه إلاّ في ظلّ الإسلام وتعاليم الشريعة، زادُها في ذلك موروثٌ حضاريّ وتاريخيّ متميّز ونسيج عقديّ متأصّل ومعينٌ قِيَمي لا ينضب ومنظومةٌ اجتماعيّة متألّقة، تنهل من مُعطيات العصر وتِقاناته في خدمة دينِ الأمة ومُثُلها وقيَمها.

والله المسؤول أن يجعلَ هذا العامَ عامَ خيرٍ وبركة ونصرٍ وتمكين للإسلام والمسلمين، وعامَ أمنٍ وأمان وعدلٍ وسلام للإنسانيّة قاطبة، وأن يجمعَ فيه كلمةَ المسلمين، ويوحّد صفوفهم، ويطهِّرَ مقدساتهم، وينصرهم على أعدائهم، إنّه خير مسؤول وأكرم مأمول.

أيها الإخوة الأحبة في الله، تعيشون – يا رعاكم الله – هذه الأيّامَ غرّةَ شهور العام، إنه شهر الله المحرم، شهرٌ من أعظم الشهور عند الله تبارك وتعالى، مكانته عظيمة، وحرمته قديمة، فاتحةُ العام وشهر الله الحرام، فيه نصَر الله موسى وقومَه على فرعون وقومِه، وقد ندبكم نبيُّكم إلى صيامه، فقال عليه الصّلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في صحيحه: «أفضلُ الصيام بعدَ رمضان شهرُ الله المحرم»!.. لا سيّما يوم عاشوراء الأغرّ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدِم النبيّ المدينة، فوجد اليهودَ صيامًا يومَ عاشوراء، فقال لهم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» قالوا: هذا يومٌ عظيم أنجَى الله فيه موسَى وقومَه، وأغرق فرعونَ وقومَه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومُه، فقال: «نحن أحقُّ بموسى منكم»، فصامه وأمَر بصيامه!.. وفي صحيح مسلم عن أبي قتادةَ رضي الله عنه أنّ رسول الله سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «أحتسِب على الله أن يكفّرَ السنةَ التي قبلَه»!..الله أكبر، يا له من فضلٍ عظيم ونفحة من نفحات المولى الكريم، وقد عزَم على أن يصومَ يومًا قبلَه مخالفةً لأهلِ الكتاب، فقال عليه الصلاة والسلام: «لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومنّ التاسع»!.. يقول الإمام العلاّمة ابنُ القيم رحمه الله: "فمراتِبُ صومِه ثلاثة: أكملها أن يُصام قبلَه يوم وبعدَه يوم، ويلي ذلك أن يُصامَ التاسع والعاشرُ، وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحدَه بالصيام"!..فينبغي للمسلمين أن يصوموا ذلك اليوم اقتداءً بأنبياء الله، وطلبًا لثوابِ الله، وأن يصوموا يومًا قبله أو يومًا بعدَه مخالفةً لأهل الكتاب، وعملاً بما استقرّت عليه سنّة المصطفى الأوّاب عليه الصلاة السلام، وإنّ صيام ذلك اليوم لمِن شكر الله عزّ وجلّ على نعمه، واستفتاح هذا العام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة التي يُرجَى فيها ثواب الله عزّ وجلّ، فأين المشمّرون؟! جعلني الله وإياكم منهم بمنّه وكرمه.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واستفتحوا عامَكم بالتوبة والإنابة والمداومة على الأعمال الصالحة، وخذوا من مرور الليالي والأيام عِبرًا، ومن تصرُّم الشهور والأعوام مذكرًا ومزدَجرًا، وإياكم والغفلةَ عن الله والدار الآخرة.





الأنبياء أفضل الخلق مطلقًا

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

تفضيل الله أنبياءه على سائر البشر

فإن المهتدين بهدي الكتاب والسنة يرون أن رسل الله وأنبياءه أفضل الخلق وأكملهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام: «وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والصالحين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

والآية تبين أن الأنبياء أعلى مرتبة من الصديقين والشهداء والصالحين.

وبالرغم من دلالة الآية على ذلك الأمر، إلا أن بعض فرق الضلال قد شذت عن الحق واتبعت الهوى، ومن هؤلاء الشيعة الاثنا عشرية الذين غالوا في أئمتهم حتى رفعوهم إلى مرتبة أعلى من الأنبياء والرسل، يقول الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك ولا نبي مرسل».

ويقول أيضًا: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لها ولسيطرتها جميع ذرات الكون».

بل إنه يزيد في ضلاله فيعتقد أن الأنبياء لم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة. يقول: «الأنبياء جميعًا جاءوا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم كله، لكنهم لم ينجحوا».

وأقوال الشيعة بتفضيل الأئمة على الأنبياء تطفح بها كتب الشيعة، بل حكموا بكفر من أنكر إمامة أئمتهم أو إمامة واحد منهم، كما يقول ابن بابويه القمي: «اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من يؤمن بجميع الأنبياء وأنكر نبوة النبي ﷺ، وإنكار الإمامة عند الشيعة شر من إنكار النبوة».

يقول الحلي في كتاب «الألفين في إمامة أمير المؤمنين»: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص».

ومن هؤلاء أيضًا بعض الصوفية حيث زعموا أن الولاية أفضل من النبوة، بل ذهبوا إلى أن

خاتم الأولياء خير من خاتم الأنبياء. يقول ابن عربي- الضال-: ومقام النبوة مبرز في فريق الهول ودون الولي، وضلال هؤلاء مبني على اعتقادهم أن الأفضلية تنال بالتأخر، ولقد ضلوا في زعمهم ضلالاً بعيدًا، فليس لأحد أن يدعي أنه أفضل من نبي، فالله أثنى على أنبيائه وعصمهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾.

تفاضل الأنبياء فيما بينهم

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

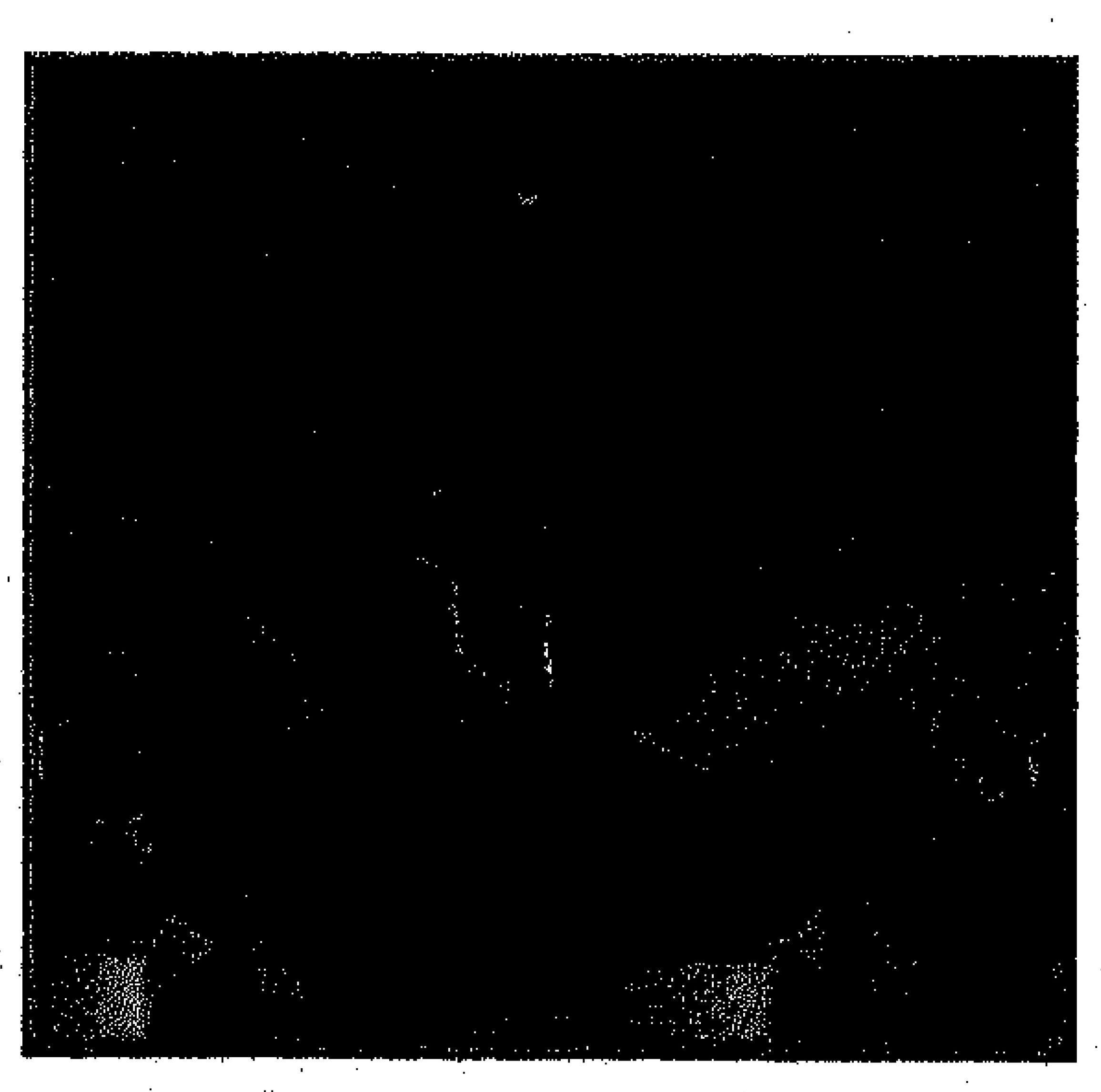
والرسل أفضل من الأنبياء، وأجمع على ذلك العلماء، وأفضل الرسل أولو العزم الذين خصهم الله بالذكر، فقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وهذا التفضيل يتمثل في أمور منها:

١- الإعطاء؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

٢- بتفضيل الله لذلك النبي والرسول، يقول سبحانه: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾، ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.



٣- ويتفاضل الأنبياء من جهة أن النبي قد يكون نبيًا فقط أو نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولاً، ولقد خُيِّر النبي ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولاً أو نبيًا ملكًا فاختار الأولى، فحال العبد الرسول أكمل من حال النبي الملك.

يقول شيخ الإسلام: «فالعبد الرسول أفضل عند الله من النبي الملك، ولهذا كان أمر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أفضل عند الله من داود ويوسف وسليمان».

ولقد جاءت النصوص الشرعية التي بينت فضل النبي ﷺ على سائر الانبياء والرسل، من ذلك قوله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». [رواه مسلم].

ويقول النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر». [رواه أحمد].

وختامًا يجب أن نلاحظ أنه لا تعارض بين ما سبق وبين الأحاديث التي وردت في النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقوله ﷺ: «لا تفضلوا بين الأنبياء». [متفق عليه].

فالنهي في الحديث يحمل على ما إذا كان هذا التفضيل يفضي إلى الخصومة أو كان على وجه العصبية والانتقاص.

والحمد لله رب العالمين

واحة التوحيد

من نور كتاب الله
أولى الناس بالصدقة

قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥]

من هدي رسول الله ﷺ
العطس والتثاؤب

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان).
[صحيح البخاري]

من دلائل نبوتيه ﷺ
معرفته قرب أجله وأول من يلحق به من أهله

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله أتبعه، فضحكت. [صحيح البخاري]

من فضائل الصحابة

عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً : (يا عائش ، هذا جبريل يقرئك السلام)، فقلتُ: وعليه السلام، ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى؛ تريد رسول الله ﷺ. [صحيح البخاري]

من أقوال السلف

سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الجماعة فقال: إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك.
[السنة للالكائي]

قالت حفصة بنت سيرين : يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشباب.

وقال إبراهيم بن إسماعيل : كنا نستعين علي حفظ الحديث بالعمل به. [اقتضاء العلم للبغدادي]

حِكَم ومواعظ

عن بكر بن عبد الله المزني كان إذا رأى شيخا قال : هذا خير مني ,هذا عَبَدَ الله قبلي . وإذا رأى شابا قال : هذا خير مني ، ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب .

عن الحسن قال: المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله حال ,الناس منه في راحة . ونفسه منه في شغل .

عن يحيى بن أبي كثير قال كان يقال ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهان العباد أنفسهم بمثل معصية الله عز وجل .
[محاسبة النفس]

من درر التفاسير

في قوله تعالى : "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" [يوسف ١٠٨] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء



إلى طاعته ، وترك معصيته ، "سبيلي" ، وطريقتي ودعوتي ، أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، "على بصيرة" ، بذلك ويقين وعلم مني به ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي.

[تفسير الطبري من غريب الحديث]

في حديث معاوية بن الحكم السلمي " فبابي هو وأمي ما ضربني ولا شتمني ولا كهرني " (أخرجه مسلم) الكهر : الانتهار . وقد كهره يكهره ، إذا زبره واستقبله بوجه عبوس.

[النهاية في غريب الحديث]

كيف العمل بالقرآن؟

قال الفضيل : إنما نزل القرآن ليعمل به ، فاتخذ الناس قراءته عملاً . قيل : كيف العمل به ؟ قال : أي ليحلّوا حلاله ، ويحرموا حرامه ، ويأتمروا بأوامره ، وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه . [اقتضاء العلم للبغدادي]

وصايا لطلاب العلم

قال الخطيب البغدادي : "إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه ، وإجهاد النفس علي العمل به ، فإن العلم شجرة والعمل ثمره ، وليس يُعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا " وقيل العلم والد ،والعمل مولود، والعلم مع العمل والرواية مع الدراية. [اقتضاء العلم للبغدادي]

عقيدة السلف...!

عن أبي القاسم عبد الجبار قال : سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول . وقيل له متي يعلم الرجل أنه علي السنة والجماعة ؟ قال : إذا عرف من نفسه عشر خصال :

لايترك الجماعة . ولا يسب أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم . ولا يخرج علي هذه الأمة بالسيف . ولا يكذب بالقدر . ولا يشك في الإيمان . ولا يماري في الدين . ولا يترك الصلاة علي من يموت من أهل القبلة بالذنب . و لايترك المسح علي الخفين . ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل. [السنة للالكائي]

من أخلاق السلف

قال الأعمش : كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه. [غذاء الألباب]

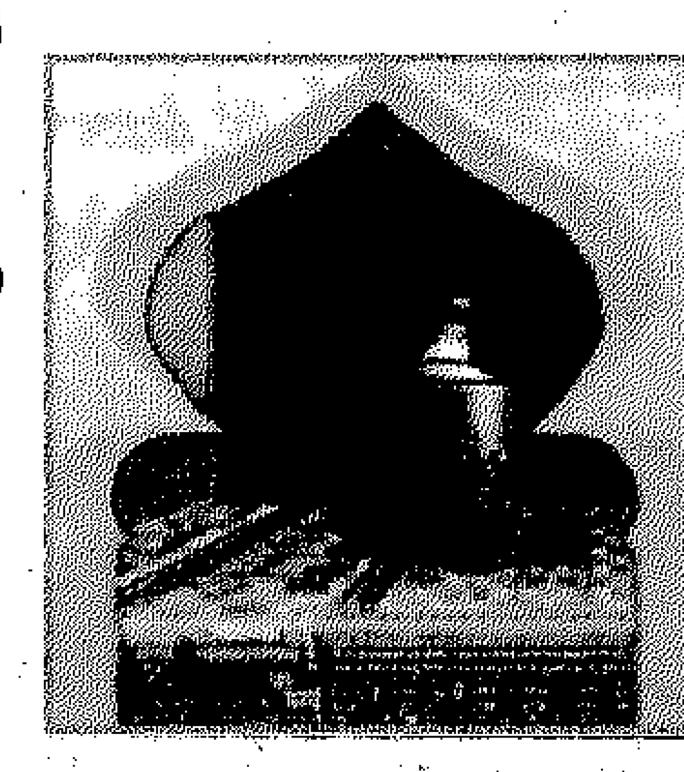
للفراسة أسباب...!

قال شماع بن شاه : من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات لم تخطئ له فراسة. [مجموع الفتاوى]

للتقوى علامات!

عن الحسن ، قال : لأهل التقوى علامات يعرفون بها : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والإيفاء بالعهد ، وقلة الفخر والخيلاء ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وحسن الخلق ، وسعة العلم ، واتباع العلم فيما يقرب إلى الله زلفى.

[الحلم لابن أبي الدنيا]



لغويات

(البرزخ) : ما بين كل شيئين، وفي الصحاح : (الحاجز بين الشيئين) والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر (من وقت الموت إلى القيامة) وقال الفراء : البرزخ من يوم يموت إلي يوم يبعث . ومن مات فقد دخله أي البرزخ.

[تاج العروس]



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ تأسيسها على يد رعيلها الأول وعبر تاريخها الطويل على تبنى المنهج السلفى معتقداً لها في تلقى الإسلام وفهمه وتطبيقه والدعوة اليه وهى بذلك تمثل الخط المستقيم والامتداد الأصيل لما كان عليه المسلمون الأوائل الذين فارقهم النبى ﷺ وهو عنهم راض.

وقد ظهر مصطلح السلف واشتهر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب الى السلف وأعلن أن ماهو عليه هو ماكان عليه السلف الصالح.

وفى هذا المقال وقبل أن نتناول الأدلة على وجوب اتباع منهج السلف يحسن بنا أولا أن نعرف بالسلف اصطلاحًا ومنهجًا.

من هم السلف؟

السلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون فى العلم، المهتدون بهدى النبى ﷺ، الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة، فجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا جهدهم فى نصح الأمة ونفعها، وبذلوا فى مرضاة الله أنفسهم.

وقد أثنى الله تعالى عليهم فى كتابه بقوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]. فذكر تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح أتباعهم، ورضى ذلك من الذين جاءوا من بعدهم.

وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

فيجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء أثرهم فيما عملوه، والاستغفارلهم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].[تحرير المقالة/للقشانى]

منهج السلف

المراد بمنهج السلف ماكان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه فى الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف كالأئمة الأربعة وسفيان الثورى والليث ابن سعد وابن المبارك والنخعي والبخارى ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي بالبدعة أو اشتهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والمعتزلة. فكل من التزم بعقائد هؤلاء الأئمة وفقههم كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس الزمان والمكان. [العقائد السلفية / آل بوطامي]

وعلى ذلك فالسلفية اصطلاح يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم فى تلقي العلم، وطريقة فهمه، وليس محصوراً فى دور تاريخي معين، والسلفية بذلك تمثل الفهم الصحيح للإسلام وليست قاصرة على الفترة الزمنية المباركة كما يزعم من يريدون تعريتها عن مضمونها

الأدلة على وجوب اتباع منهج السلف

تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على أن الصحابة رضى الله عنهم هم خير القرون على الإطلاق لما لهم عند الله من المنزلة العالية والمكانة السامية فقد مدحهم ربهم وزكاهم من فوق

اتباع منهج السلف

إعداد
معاوية محمد هيكل

سبع سموات ومدح من اتبع سبيلهم وسار على هديهم، وذم من خالفهم، وكل ذلك يؤكد وجوب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم.

الأدلة من القرآن

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - قال تعالى :﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة ١٠٠]

قال ابن كثير - رحمه الله -: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين و الأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم.

وقال الشوكاني - رحمه الله -: ومعنى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار ، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة.

[فتح القدير (٢/٣٩٨)]

وقال السعدي - رحمه الله - عند قوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ بالاعتقادات و الأقوال و الأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح و أعظم الكرامات من الله.

٢- قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

فقد جعلهم الله تبارك وتعالى أفضل الأمم وأعدلها في العقيدة و القول والعمل فاستحقوا بذلك أن يكونوا شهداء على الناس، فإذا كانت شهادتهم عند الله مقبولة فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة حجة على من بعدهم، لذلك أمر رب العزة باتباع سبيلهم، فقال : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان:١٥]، وجيل الصحابة خير من أناب إلى الله واستجاب، فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله تبارك وتعالى ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير. كما ظهر ذلك في قوله تعالى:

٣- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾. [النساء :١١٥]

قال ابن كثير - رحمه الله -:

«أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق و الشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح»، وقوله : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفةالأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه : «إن كلاً من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه مستلزم للآخر .. فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضاً، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، و الآية توجب ذم ذلك». [مجموع الفتاوى : ١٩/١٩٣-١٩٤]

٤- قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [الفتح:٢٩]

فقد وصف الله عز وجل الصحابة بأكمل الصفات و أجل الأحوال فهم مجتهدون في نصرة دين الله عز وجل وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلذلك ذلّ أعداؤهم لهم . وهم كذلك متحابون متراحمون كالجسد الواحد. كما مدحهم ربهم ظاهراً فقال: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾، ومدحهم باطناً فقال: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ومدحهم قبل أن يخلقوا فقال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾، وهذه ايضا صفة

لقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها على تبني المنهج السلفي معتقداً لها في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه والدعوة إليه

للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين اقتفوا أثر جيل القدوة الأول محمد ﷺ وصحبه.

وتعمُّد إغاظة الكفار يوحي بأن هذه الطائفة هي غرس غرسه الله وتعهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتربية ، فهي من دلائل قدرة الله ؛ لأنها أداة لإغاظة أعداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله ، و إخماد جذوته في نفوس المسلمين ، ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون ، ومظهر دينه ، و لو كره الكافرون . ولذلك ترى أهل البدع يعادون أهل الحديث في كل عصر ومصر .

٥ - وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

قال السعدي رحمه الله : «فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان ، لأن قولهم : ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ دليل على المشاركة فيه ، و أنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان و أصوله، وهم أهل السنة و الجماعة ، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم» فوجب اتباعهم و اقتفاء آثرهم .

٦- وقال تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. [البقرة :١٣٧]

قال ابن كثير - رحمه الله -: يقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾، يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يا أيها المؤمنون ، و الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي أصابوا الحق وارشدوا إليه . انتهى.

و الآية أيضاً تتناول كل من جاء بعد جيل الصحابة إلى عصرنا لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول و التفسير ، فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يحصل لهم الهداية .

الأدلة من السنة النبوية

فقد بين النبي ﷺ أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة وهي ما كان عليه الرسول ﷺ و أصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سننه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ - وفيه - : «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة و ثنتان وسبعون في النار» قيل يا رسول الله، من هم؟ قال : «الجماعة». [صحيح ابن ماجه (٣٦٤/٢)]

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، و إن كان المتمسك به قليل و المخالف كثير لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم .

[الباعث على انكار البدع ص ٢٢]

وصدق عبد الله بن مسعود حيث قال : الجماعة ما وافق الحق و إن كنت وحدك. [شرح اصول الاعتقاد ١٦٠]

- وثبت عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». [رواه مسلم ١٥٢٣/٣]

قال يزيد بن هارون و أحمد بن حنبل : «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم» وقال ابن المديني : «هم أصحاب الحديث» وقال البخاري : «يعني أصحاب الحديث» وقال أحمد بن سنان : «هم أهل العلم و أصحاب الأثر».

[شرف أصحاب الحديث للبغدادي]

قال المناوي في [فيض القدير ٣٩٥/٣] وفيه معجزة بينة فان أهل السنة ما يزالون ظاهرين في كل عصر إلى الآن من حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج و المعتزلة و الرافضة وغيرهم لم يقم لأحد منهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بنور الكتاب و السنة فلله الحمد و المنة .

- وثبت عند أبي داود من حديث العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ وفيه : " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، و إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [رواه ابو

الصحابة هم خير القرون على الإطلاق، مدحهم ربهم وزكاهم، ومدح من اتبع سبيلهم وسار على هديهم، وذم من خالفهم

داوود وصححه الألباني] . قال ابن حبان في (صحيحه ١/١٠٤) في قوله ﷺ : «عليكم بسنتي» بيان واضح أن من واظب على السنن ، وقال بها ، ولم يعرِّج على غيرها من الآراء ، كان من الفرقة الناجية يوم القيامة. جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

- و في الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا. [رواه البخاري ومسلم]

- عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، و أنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابي ما يوعدون، و أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». [رواه مسلم]

وفي الحديث فوائد:

١- إذا كانت النجوم قد جعلها الله رجوماً للشياطين في استراق السمع فإن الصحابة رضى الله عنهم زينة هذه الأمة كانوا رصداً لتاويل الجاهلين، وانتحال المبطلين ، وتحريف الغالين؛ الذين اتبعوا أهواءهم .

٢- و إذا كانت النجوم كذلك منارًا لأهل الأرض يهتدون بها في البر و البحر فكذلك الصحابة رضى الله عنهم يقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشبهات و الشهوات ، فمن أعرض عن فهمهم فهو في غيه يتردى في الظلمات ليس بخارج منها .

٣- فهم الصحابة للقرآن و السنة تحصين من بدع شياطين الإنس و الجن الذين يبتغون الفتنة ويبتغون تأويلها ؛ ليفسدوا مراد الله ورسوله فكان فهم الصحابة حرزاً من الشر وأسبابه.

[باختصار من المنهج السلفي للهلالي]

٤- فيه أن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم وانقضاء جيلهم يعقبه ظهور البدع والحوادث في الدين، وقد كان. وهذا كله من دلائل صدق نبوته ﷺ.

- ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن سبهم فقال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم أو نصيفه». [رواه مسلم]

أقوال سلف الأمة

١- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي عليه الصلاة و السلام - خير من عمل أحدكم عمره. [رواه ابن أبي شيبة و ابن ماجه]

٢- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: والله لمشهد رجل منهم - يعني الصحابة - مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّرَ عمر نوح. ثم قال متوعدا من يبغضهم أو يسبهم: لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله ألا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة، والشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم. [رواه الترمذي وابو داود]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة ، ابرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا ،اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم. [جامع بيان العلم ٢/٢٤٧]

وقال الأوزاعى رحمه الله : اصبر نفسك على السنة وقِف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. [شرح أصول الاعتقاد ١/١٥٤]

وقال أيضا : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول. [الشريعة للآجرى ص٥٨]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا. [التفسير الكبير ٢/٢٢٩]

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله في [الصارم المنكي ٤٢٧]: لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة.

وصدق مالك رحمه الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

جعلنا الله وإياكم خير خلف لخير سلف.

والحمد لله رب العالمين

القول الصريح في حقيقة الضريح

الحلقة الثانية

الموت والقبر في الإسلام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن للأضرحة والقبور مكانتها الكبيرة في كل الملل والنِّحل المنحرفة عن الصراط المستقيم، ويستطيع المرء إذا اطلع على ما يحدث في الأديان والمجتمعات الأخرى أن يتأكد من ذلك.

ونستدل هنا بقول الدكتور/ موسى الموسوي الشيعي الذي يدعو إلى تصحيح مفاهيم قومه في كتابه "الشيعة والتصحيح"، حيث يقول: "لقد زرت مقابر الأولياء في كثير من البلاد الإسلامية، فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم، فرأيت الناس فيها يتبركون بتمثال المسيح وأقدام العذراء، وقد تركوا الله جانبا، ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة. ودخلت معابد البوذيين والشنتو، ومعابد الهنود والسيخ، فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معا من تقديم القربان، وطلب الحاجات، وتقبيل التماثيل، والركوع والخضوع والخشوع أمامها، وهكذا رأيت البشرية تعوم في سرداب من الأوهام"(١).

وتشترك الصوفية مع غيرها من الملل والنحل في تعظيم القبور والاحتفال بميلاد ساكنيها.

بينما الموت والقبور في دين الله تعالى له شأن آخر نستوضحه فيما يلي:

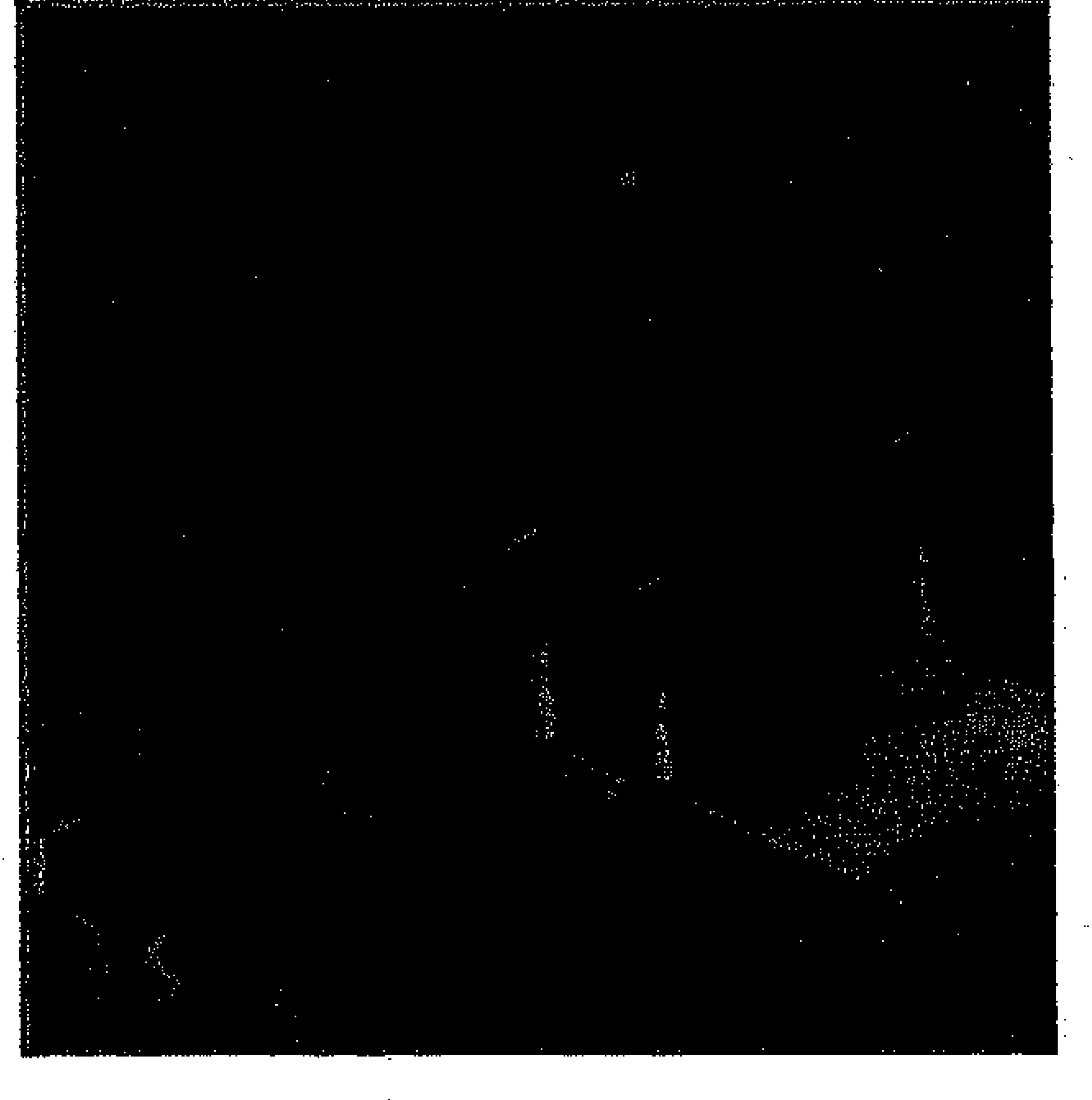
الموت في الإسلام ليس فناءً محضا، بل هو مرحلة من خمس مراحل تمر بها حياة كل إنسان، تلك المراحل التي بدأت بخلق الروح في الملأ الأعلى يوم أخذ الله من ظهر آدم وهو منجدل في طينته قبضة وأخرج منها أرواح المؤمنين إلى يوم القيامة، ثم قبض قبضة أخرى، وخلق حينئذ أرواح أصحاب الشمال، ثم أخذ العهد على جميع الأرواح يومئذ بسؤالها: ألست بربكم؟، فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ



إعداد / محمود المراكبي

شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف-١٧٢]، ثم أودعت الأرواح في حياة برزخية لا يعلمها إلا الله تعالى، وتأتي المرحلة الثانية بعد اجتماع منيّ الرجل وماء المرأة في الرحم، ويأذن الله تعالى للجنين أن يجتمع في ظلمات الرحم، وبعد مائة وعشرين يوما ينفخ مَلَكٌ تلك الروح التي قدرها الله تعالى في هذا الجنين، فتستقر فيه، وتنتقل الروح من حياة البرزخ إلى ظلمة الرحم، إلى أن يولد المولود، فتبدأ المرحلة الثالثة، وهي رحلة هذا الآدمي في الحياة الدنيا، حيث يجتمع فيها الروح والجسد، والعقل والقلب، والنفس، فتتنازع الرغبات مع شهوات النفس وهواها، وتلقي الدنيا بزخرفها على الحواس، مع عداوة قديمة مع إبليس، جعلت مهمته الحقد على ابن آدم، والسعي لإفساده، وسلاحه الوسوسة والتزيين، كل هذه الفتن تصطدم بالخوف والرجاء، وإخلاص العبودية لله عز وجل، ومع توالي الصراع، يحصد المرء في آخرته ما بذره في دنياه، ويستمر الحال حتى انقضاء أجله ووفاته، فتخرج الروح في بداية المرحلة الرابعة، وتعود ثانية إلى عالم البرزخ، حيث تستقر أرواح المؤمنين في الجنة، وتشقى أرواح الكافرين في النار، ويقبر الجسد في التراب مطلعا في نفس الوقت - بكيفية يعلمها الحق تبارك وتعالى- على مقامه في الجنة أو درجته في النار، والمرحلة الخامسة والأخيرة تبدأ بالبعث والنفخ في الصور، حيث تبعث الروح في بدن جديد صالح للحياة الآخرة، ينال فيها المؤمن ثواب طاعته، وينال العاصي العذاب الذي يستحقه جزاءً وفاقا على ما اقترف من الذنوب والآثام في الدنيا.

فالقبر إذن مرحلة تمهيدية لازمة لإعداد المرء لحياة الآخرة، والقبر رحم أكبر، يودع فيه الجسد، كما تودع النطفة في الرحم، ومهمة القبر أساسية كمهمة الرحم سواء بسواء، ففي الرحم يبدأ الإنسان نطفة، فعلقة، فمضغة، ثم تظهر العظام ويكسوها الله تعالى لحما، ويتم تهيئة بصر المولود وإعداد مجالات سمع الأذن لتلقي الترددات المناسبة للحياة الدنيا، وكذلك تضبط العين حتى تتلقى موجات معينة، وتستطيع أن تشاهد مدًى معينًا يناسب ما هو موجود في الدنيا، بينما يتولى القبر نزع البدن المادي الترابي عن الميت، لأنه لم يعد صالحا لأن يدخل به إلى الملأ الأعلى، فتتحلل خلاياه، وتنخر عظامه، وتبلى هيئته، ثم يستعد ما بقي من الميت وهو عجب الذنب لاستقبال أمر الله بالبعث والنشور.



فالقبر بهذا المنظور هو المكان الذي يخلع الإنسان فيه عن جسده الحواس التي أعدت مواصفاتها للتعامل مع الدنيا، ليستبدلها

بأخرى تكون جاهزة لاستقبال حواس مرحلة ما بعد البعث، التي تأتي مع النفخ في الصور، ففي تلك اللحظة يعاد تكوين الإنسان وتتجمع أجزاؤه، التي تستطيع التعامل مع الحياة الآخرة، سواء أكان المرء من أهل الجنة أم من أهل النار.

وكل ابن آدم مقبور ولا شك، والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وقد نهى الإسلام في بداية الأمر عن زيارة القبور؛ لأن القوم حديثو عهد بشرك، ثم أذن النبي ﷺ في زيارتها بعد أن وضع ضوابطها، وحدد سننها، وكيف تكون كما حدد للزيارة أهدافها، وأمرنا بفعل طاعة معينة عند زيارة القبر، وتلك الأهداف هي:

*تَذَكُّر الموت؛ فالقبر هو الحقيقة المادية التي يتفق عليها المؤمن والكافر، والموت لا بد ملاق ابن آدم. ومن تأكدت له هذه الحقيقة يجد شعورا بالراحة والسكينة عندما يزور القبور، ولابد للزائر أن يتأمل مصير من سبقوه، ومآله بعد انقضاء أجله، فيجد في منظر القبر ما يدفعه لعقد النية على التوبة، والإقلاع عن المعاصي، والإقبال على الله، ومن هنا شرع الرسول ﷺ زيارة القبور، وفي لفظ آخر يقول ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن لكم فيها عبرة»(٢). ولا شك أن من تذكر الموت لابد أن يتأمل البعث والنشور، ثم المثول بين يدي الواحد الديان.

*تُزَهِّدُ في الدنيا؛ فمن يرى المقابر، وحال أهلها بعد أن كانوا سلاطين، وأمراء، وقادة، وفاتحين، وعظماء، وعلماء، وغير ذلك، علم أن نهاية ذلك كله إلى حفرة في الأرض، وبالتالي تهون عليه كل مصائب الدنيا، ويبقى أمامه التدبر في أحوالها، ويتأمل المصاب الأكبر بفقد الحياة، ومفارقة الأهل والأحباب.

مشروعية زيارة القبور

وقد ورد عن كثير من الصحابة، ومنهم: بريدة بن الحصيب، وأنس بن مالك، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهم التصريح بزيارة القبور، بألفاظ عديدة منها: أن رسول الله ﷺ، قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر بالآخرة»(٣). والعمل على هذا عند أهل العلم؛ فهم لا يرون بزيارة القبور بأسا، وهو قول عبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، ومن أدلة مشروعية الزيارة أيضا :



*قول أبي هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ إلى المقابر، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»(٤).

*وعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال:

«السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر)(٥).

*وحديث عائشة، قالت: فقدت النبي ﷺ من الليل، فإذا به في البقيع، فقال: (سلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنتم لنا فرط(٦)، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم نسأل الله لنا ولكم العافية)(٧).

وفي لفظ آخر في صحيح مسلم، أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عن كيفية الدعاء لأهل القبور، فقال ﷺ: (قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون).

وعلى زائر القبر طاعة هو مأمور بأدائها أثناء الزيارة، فقد علمتنا السنة العديد من الحقائق والمفاهيم التي حرص الإسلام على ترسيخها في أفئدة أتباعه، منها: الدعاء لصاحب القبر الذي انتقل إلى دار الحساب، فإذا كان طائعا، فإنه اليوم يلوم نفسه حيث لم يزدد طاعة لربه، ولو كان عاصيا، فإنه في أمس الحاجة إلى حسنة تمحو عنه سيئة، أو يرفع الله بها عنه عذابا، وقد ثبت أن النبي ﷺ، كثيرا ما كان يؤمر بزيارة البقيع والاستغفار لأهلها، وأيضا: تعلمنا من السنة أن الميت يتلهف على من يدعو له، وأن عمل أقاربه يعرض عليه، ومن هنا شرع الإسلام زيارة القبور للدعاء لأهلها -ونسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا من يترحم علينا إذا صرنا إلى ما صار إليه من كان قبلنا، كما ورد أن صاحب القبر يشعر بزواره ويسمع سلامهم عليه ودعاءهم له، وليس لزيارة القبور من هدف ثالث.

ولم يكن في عصر النبوة مسجدٌ بنى على قبر، أو قبر شيد فوقه مسجدٌ، ولهذا سن النبي ﷺ العديد من سنن القبور وكيفية إعدادها ليدفن فيها الموتى، وهذا ما سنعرفه بإذن الله تعالى في المقال التالي، والله الموفق.

---

(١) الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي الشيعي ٨٤

(٢) حديث ابن مسعود أخرجه البخاري ،٣٦٩٦ والنسائي ،٤٣٥١ ومالك في الموطأ حديث ٩١٩

(٣) حديث أنس وابن مسعود أخرجه أحمد في مسنده ,وابن ماجه ،١٥٦٠ وحديث بريدة بن الحصيب أخرجه مسلم ،١٦٢٣ والنسائي ،٢٠٠٥ وأبو داود ،٢٨١٦ وأحمد ،٢١٨٨٠ والترمذي ،٩٧٤ وقال: حسن صحيح.

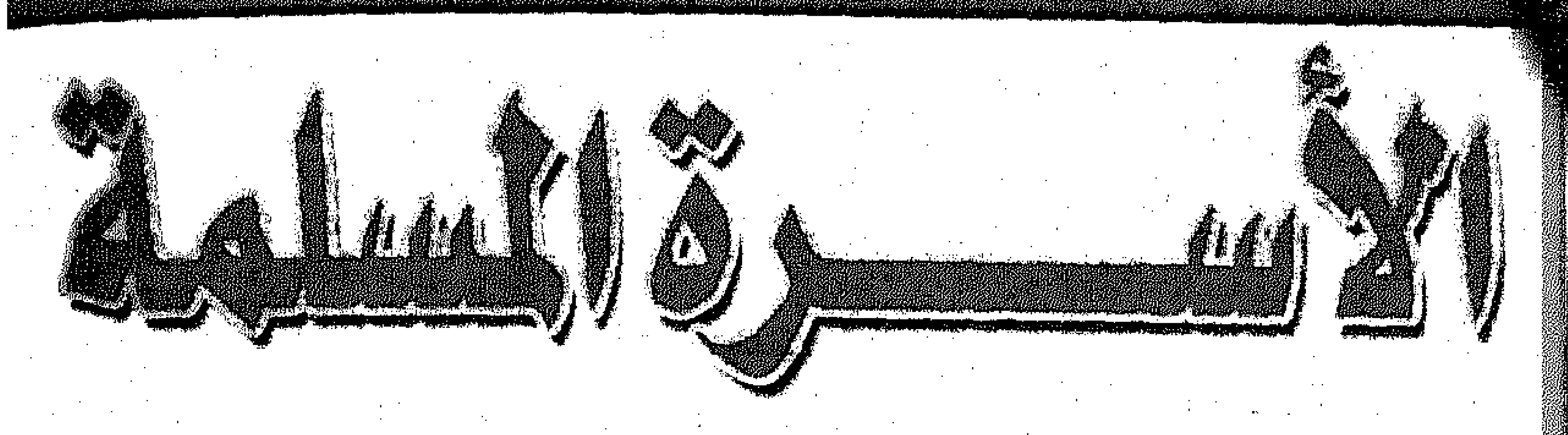
(٤) حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ،٣٦٧ والنسائي ،١٥٠ وأبو داود ،٢٨١٨ وابن ماجه ،٤٢٩٦ ومالك في الموطأ ،٥٣ وأحمد في مسنده ,٧٦٢٧

(٥) حديث ابن عباس أخرجه الترمذي ،٩٧٣ وقال: حديث حسن غريب:. وفي الباب عن بريدة وعائشة.

(٦) فرط: أي سابقون ومتقدمون.

(٧) حديث عائشة أخرجه مسلم ،١٦١٨ والنسائي ،٢٠١٠ وابن ماجه في سننه ،١٥٣٥ وأحمد في مسنده.

ركن الأسرة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد..

فلقد بعث الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالتوحيد كما بعث بذلك سائر الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].



وبعد أن أقر سائر الخلق لله سبحانه وتعالى بربوبيته وتصريفه لأمور ملكه وخلقه، ووحدوه في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وهذا ما أُطلق عليه توحيد الربوبية وهو إفراد الله بأفعاله؛ بقي عليهم أن يوحدوه توحيد الألوهية وهو إفراده سبحانه بأفعال عباده فتكون الأعمال كلها له ومن أجله سبحانه وابتغاء وجهه، وبقدر استقامة العبد على ما أمر الله تعالى به، يكون تحقيقه لمعاني التوحيد، وقرار الإيمان في قلبه، فالرسوخ في أداء الأعمال دليل على رسوخ الإيمان في القلب والتوحيد الخالص للرب. فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

والمجتمع المسلم الذي كانت ولا تزال لبنته الأولى الأسرة المسلمة لا يمكن أن يكون كما أراد الله منه إلا بتوحيد الرب جل وعلا، والعمل بمقتضيات ذلك التوحيد، يشترك في ذلك الرجل وهو رب الأسرة والقيم عليها، والزوجة وهي شريكة في المسئولية، وكذلك الأبناء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦] وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

أولا: الوالد قدوة

الوالد في أسرته قدوة الأسرة جميعا، وهم تبع له غالبًا في أقواله وأعماله، فينبغي له أن يكون أهلا للمسئولية التي ولاه الله إياها، ولكي يكون أهلا لهذه المسئولية ينبغي أن يكون على علم بحدود مسئولياته وواجباته حتى يكون داعية خير لأسرته، فضلا عن أن يكون داعية حق لأمته.

الداعية الحق

لقد كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين في هذه الأمور وفي غيرها من أمور الدين، وقد ضرب من نفسه مثلا أعلى في تطبيق ما دعا إليه. فمن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله من حديث عقبة بن الحارث النوفلي قال: صليت مع النبي ﷺ العصر، فلما سلم قام سريعا، ودخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته فقال: «ذكرت وأنا في الصلاة تبرًا (ذهبًا) عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته».

إن هذا التصرف من رسول الله ﷺ يعتبر مثالا عاليا للشعور بالمسئولية، والتحري الدقيق في القضايا المالية، والمبادرة إلى تنفيذ التكاليف الشرعية، وإن لم يكن وقت تنفيذها محددًا خشية النسيان أو حضور الأجل، وهذا لون من ألوان التربية النبوية المؤثرة، حيث إن خروج النبي ﷺ من المسجد بهذه الصورة أثار عجب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتساؤلهم، فتهيأت نفوسهم لاستقبال هذا التوجيه العملي نحو الاهتمام بحقوق المسلمين والإسراع في إيصالها لمستحقيها.

في ظلال التوحيد

ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[1] أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل فأكلها فلم يَنَمْ تلك الليلة فقال بعض نسائه: يا رسول الله أرِقْتَ الليلة؟ قال: «إني وجدتُ تحت جنبي تمرة فأكلتُها، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيت أن تكون منه».

وهذا مثال على شدة ورع النبي ﷺ وعظم خشيته من الله تعالى، فقد أرق ليلة كاملة من أكل تلك التمرة على صغرها خشية أن تكون من الصدقة، وقد حرم الله تعالى الصدقة على بني هاشم. وبهذا الورع الشديد والخشية البالغة كان ﷺ قدوة عُلْيَى لأمته في ذلك، فهل يقتدي به الدعاة الذين يتجشمون الدعوة إلى دينه وسنته؟

ولكن كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير. [البخاري (٢٩١٦)]

- عن عمرو بن الحارث: ختن رسول الله ﷺ: أخي جويرية بنت الحارث - قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة. [البخاري (٢٧٣٩)]

وكان بإمكانه ﷺ أن يكون أغنى رجل في العرب وربما في العالم، فلقد أفاء الله تعالى عليه في الغزوات أموالا عظيمة، ويكفي مثالا على ذلك غزوة حنين حيث كان يعطي الرجل الواحد ما بين جبلين من الغنم والإبل، وأعطى عددا من زعماء العرب وأكابرهم كل واحد مائة من الإبل ولم يدخر لنفسه من ذلك شيئًا.

ولقد خيره الله تعالى بين متاع الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر رضي الله عنه... فكان رسول الله ﷺ هو العبد...». [البخاري(٤٦٦)]، والتحق بالرفيق الأعلى وهو على تلك الصفة المذكورة من التقشف والزهد البالغ، لأنه أراد أن يكون قدوة ومثلا أعلى به يقتدى وبعمله يُحتذى. وقد لفت نظر أمته إلى هذا الأمر البالغ الأهمية فقال: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم». [صحيح مشكاة المصابيح (٥١٦٣)]

قال أبو سفيان: جئت اليمن تاجرًا فكنت بها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون عليَّ ويسألون عن بضائعهم، حتى جاءني محمد بن عبد الله، وهند عندي تلاعب صبيانها فسلم عليَّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام.

فقلت لهند: والله إن هذا ليعجبني، ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها، وما سألني هذا عن بضاعته - يعني النبي ﷺ وكان ذلك قبل البعثة -. فقالت لي هند: أوَ ما علمت شأنه؟ فقلت وأنا فزع: ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله، فوقذَنْني[2] فرجفت، حتى قالت لي هند: مالك؟ فانتبهت فقلت: إن هذا لَهُوَ الباطل، لَهُوَ أعقل من أن يقول هذا، قالت: بلى والله إنه ليقولن ذلك ويدعو إليه وإن له لصحابة على دينه، قلت: هذا هو الباطل.

قال: وخرجْتُ، فبينا أنا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته، فقلت له: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسِلْ من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي، فأبى عليَّ، وقال: إذا لا آخذها، قلت: فأرسِلْ فخُذْها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي، فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذْتُ منه ما كنت آخذ من غيره. ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٦/٢ وقال: وقد رواه الحافظ العراقي في كتاب الدلائل من حديث إسماعيل بن طريح به ١١٦/٢.

جاء النبي ﷺ لزيارة أبي سفيان والسؤال عن حاله بعد السفر ولم يسأله عن بضاعته كما سأله غيره، حتى أثار عجب أبي سفيان منه.

ركن الأسرة

وهكذا فإن رسول الله ﷺ لا يجعل ماله أكبر همه، لأن له همًا أكبر وأعظم من ذلك بكثير.. إنه يحمل هم تبليغ رسالة ربه جل وعلا وهداية الناس الحيارى والضالين إلى الصراط المستقيم، ثم المال إذا وجد يكون مسخرًا لخدمة هذا الهدف ولإعفاف النفس والأسرة والإحسان إلى المحتاجين. والمال لا يكون هدفًا، وإنما يُسخَّر لخدمة الهدف، ويوظف لرعاية الدعوة وحراسة الفضيلة، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

وموقف آخر يتعلق بالمال أيضًا، وهو أن أبا سفيان لما عرض على رسول الله ﷺ أن لا يأخذ منه مقابل التجارة بماله كما يأخذ من غيره رفض وأبى أن يأخذ بضاعته إلا بعد أن يأخذ أبو سفيان حقه في ذلك.

وهذا مثال للعفة والقناعة، وهما من مكارم الأخلاق العالية، ومكارم الأخلاق من أهم الدعائم التي تقوم عليها الدعوة الناجحة.

كما أن في عزوف النبي ﷺ عن قبول عَرْض أبي سفيان هذا ترفعًا عن الخضوع للكفار، لأن من بُذل له المعروف يكون أسيرًا لباذله، فلا ينبغي لمسلم أن يكون لكافر عليه منة أو معروف[٣].

ثانيا: الأم المؤمنة مستجيبة لله ولرسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]. فاستجابت أم حُمَيْد رضي الله عنها وعن زوجها أبي حميد الساعدي، جاءت إلى النبي ﷺ يومًا فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك. فقال لها: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي»[٤].

قال الراوي عبد الله بن سويد: فأمرت فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى. وبيت المرأة هو المكان الذي تبيت فيه، وهو أستر مكان في المنزل كله، فهل تستجيب أخواتنا لتوجيهات النبي ﷺ فيما يخص الخروج إلى المساجد وآداب ذلك، في الوقت الذي كثر فيه الاختلاط والسفور والفتن، وغابت الضوابط الشرعية التي تضبط خروج المرأة، وكثر مرضى القلوب والمتعرضون؟ وإن العاقلة لتختار بيتها لتصلي فيه إذا عرفت أن زمننا أشد وأفظع من زمن أم حميد.

ولما خطب النبي ﷺ في النساء يوم عيد قائلا: «يا معشر النساء، تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»[٥]. تأثرت النساء جدًا بهذا الخبر، فكانت الاستجابة سريعة جدًا أيضًا وفي نفس الوقت، فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال رضي الله عنه من أقراطهن وخواتيمهن. والقُرط هو الحلق. وفِعْلُ النساء هذا الشيء يوم عيد وفرحة وزينة وتباهٍ بالحلي يدل على سرعة الاستجابة لله ورسوله، والخوف من جهنم، ولو طلب النبي ﷺ أرواحهن لقدَّمنها رخيصة افتداءً من عذاب النار.

إنها القلوب الحية التي تستجيب لله ورسوله وتختار ما عند الله.

والحديث كما أسلفنا كان من النبي ﷺ إلى النساء في يوم عيد، حيث قام ﷺ يعظهن ويذكرهن بالله. وها هو بتمامه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار». فقالت امرأة منهن جزلة[٦]: وما لنا يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن». قالت: يا رسول الله، وما نقصان عقلها؟ قال: «أما نقصان العقل؛ فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل[٧]، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي؛ وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين»[٨].

ثالثا: طفلنا المسلم

أبناء السلف وحفظ القرآن

القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، منه جرى، ليس بمخلوق ولا بمفترى، يُتقرب إلى الله تعالى بحفظه وتلاوته، والعمل به والدعوة إليه، يرفع الله تعالى به أقوامًا، ويجعلهم للمتقين إمامًا، وقد وعى أبناء سلفنا الكرام هذه المنزلة العظمى لكلام الله، فسارعوا إلى حفظه فضلا عن فهمه والعمل به.

عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنت جارًا لخباب بن الأرت، فخرجنا مرة من المسجد فأخذ بيدي، فقال: يا هناه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه[٩].

وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[١٠]. أي: حفظ القرآن.

وهذا سنان البغدادي الشيخ الإمام العلامة المفتي شيخ الحنفية وشيخ العربية وشيخ القراءات، ومسند الشام.. سنان البغداي المقرئ النحوي اللغوي الحنفي، ولد في شعبان سنة ٥٢٠، وحفظ القرآن وهو صغير مميز وقرأ بالروايات العشر وله عشرة أعوام، وهذا شيء ما تهيأ لأحد قبله، وتردد إلى البلاد وإلى مصر والشام يتجر، ثم استوطن دمشق ورأى عزًا وجاهًا، وكثرت أمواله وازدحم عليه الفضلاء، وعُمِّر دهرًا، وبرع في الفقه وفي النحو، وأفتى ودرَّس وصنف في النظم والنثر، وكان صحيح السماع ثقة في نقله ظريفًا كيسًا ذا دعابة وانطباع[١١].

قلت: فلما أقبل على القرآن والعلوم الشرعية وما يقربه من الآخرة؛ أتته الدنيا وهي راغمة، فلذلك ذكر أنه رأى عزًا وجاهًا وكثرت أمواله وازدحم عليه الفضلاء. وليس ذلك إلا تحقيقًا لحديث النبي ﷺ: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة..»[١٢].

وهذا ابن إبراهيم الحربي: قال محمد بن خلف: كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئًا كثيرًا، قال: فمات فجئت أعزيه، قال: فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، قال: قلت: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل ذلك؟ قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان يومًا حارًا شديدًا حره، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليَّ وقال: لست أبي، فقلت: فأيش أنتم؟ فقال: الذين متنا في الدنيا وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وكذا ابن خلدون حفظ القرآن في نفس السن وغيرهم كثيرون، سابقون ومعاصرون، والسعيد من وفقه الله.

وقد مر أن البلقيني حفظ القرآن وله من العمر سبع سنوات، وابن اللبان حفظه وله خمس سنوات، والحافظ العراقي مات أبوه وله ثلاث سنوات، وحفظ القرآن وله من العمر ثماني سنوات.

وكذلك أبو بكر الزريراني البغدادي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري حفظه وهو ابن سبع سنين أيضًا. وغير هؤلاء كثيرون.

وحتى لا يقال أن الحفاظ في الرجال فتهمل النساء، نذكِّر بالحافظات من النساء:

فهذه أم الدرداء العالمة الفقيهة، روت علمًا جمًا عن زوجها أبي الدرداء، وعن كعب بن عاصم الأشعري وعائشة وأبي هريرة وطائفة، وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء، وطال عمرها واشتهرت بالعلم والعمل والزهد[١٣].

وهذه سيدة بنت عبد الغني العبدرية، تركها أبوها يتيمة صغيرة، فتعلمت القرآن وحفظته، وبرعت فيه وجاد خطها وتعلمت بعض العلوم[١٤].

وهذه حفصة بنت سيرين: وكان أخوها محمد إذا أشكل عليه من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ[١٥].

عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله، قال الله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠]، وهو الجلباب، قال هشام بن حسان: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب، قال: قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت وهي ابنة تسعين. والمقصود بأنها قرأت القرآن الكريم، أي حفظته.

فأهل القرآن أهل العفاف، وهي من القواعد لكنها فعلت ما هو خير كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ [النور:٦٠].

والحمد لله رب العالمين

---

(١) إسناده صحيح، أحمد ح٦٨٢٠.

(٢) يعني كسرت نفسي وأحزنتني.

(٣) من كتاب التاريخ الإسلامي للدكتور عبد العزيز الحميدي بتصرف.

(٤) صحيح ابن حبان (ج١ ح٢٢١٧).

(٥) البخاري (ج١ ح٢٩٨)، ومسلم (ج١ ح٧٩)، وغيرهما.

(٦) أي: تامة الخلق.

(٧) وقد يستخدم بعض البسطاء هذا الحديث مدعاة للتنقيص من شأن المرأة وتعييرها بنقص العقل والدين، وهذا لا يجوز، وإن كان المراد بنقصان العقل قلة الضبط وكثيرًا ما يقع هذا مع الرجال.

(٨) مسلم ج١ ح٧٩.

(٩) أخرجه الحاكم (٢/٣٦٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(١٠) البخاري (٤/٤٧٤٨).

(١١) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٣٤).

(١٢) صحيح الجامع (٦٥١٠).

(١٣) سير أعلام النبلاء (٤/٢٧٧).

(١٤) الوافي بالوفيات (٦/٥٦).

(١٥) سير أعلام النبلاء (٤/٥٠٧).

ركن الأسرة

للرجال عليهن

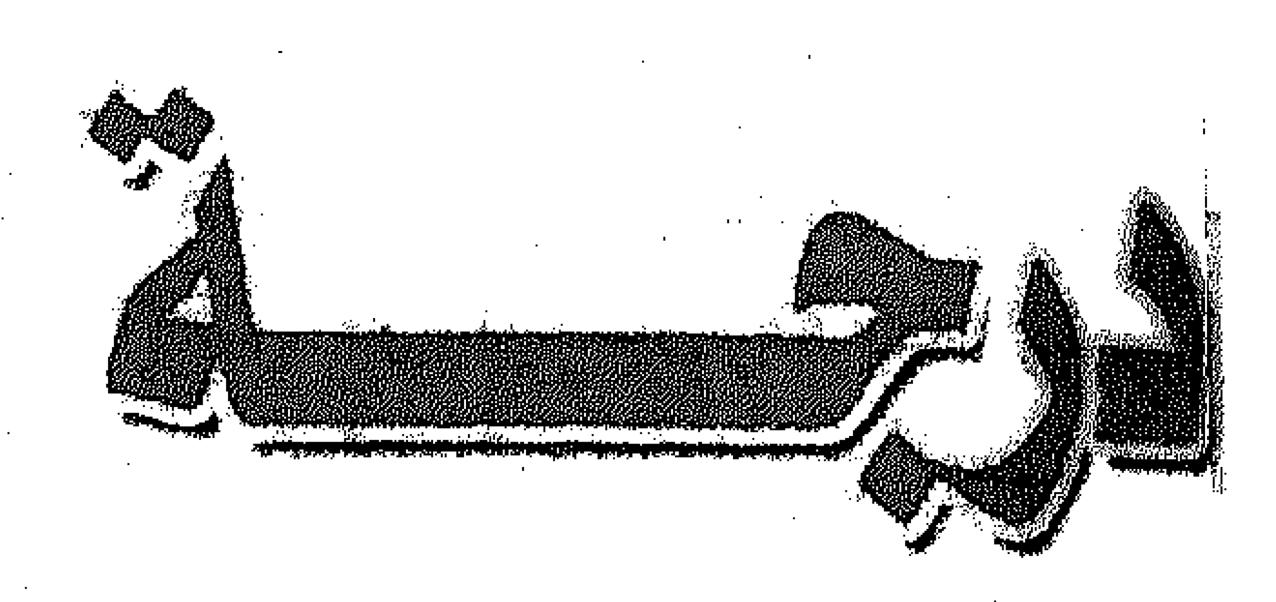
الحمد لله خالق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأشهد أن لا إله إلا الله يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، وبعد:

يقول تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وحول آخر الآية يقول ابن كثير رحمه الله: أي ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف لحديث مسلم عن جابر أن الرسول ﷺ قال في خطبة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

ولحديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده قال: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت». وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي في الفضيلة والخلق والخلق والمنزلة والطاعة والانفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (ابن كثير ١/٢٥٧).

فها هو الحافظ ابن كثير يستدل بالقرآن لتفسير القرآن وهو أصح التفسير؛ أن يفسر القرآن بالقرآن، فقد بدأ القرآن بحق المرأة أولاً فقال: «ولهن»، ثم ثنى بحق الرجال وقال: «عليهن» ومع التساوي في الحقوق والواجبات والتساوي في الخضوع لأحكام رب الأرض والسماوات، يبقى التقرير الإلهي: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فلابد من وجود هذه الدرجة لا لتستمر المعركة بين الرجل والمرأة، ولا لتحقيق مكاسب لصالح طرف؛ وإنما لصالح النفس الإنسانية بشقيها الرجل والمرأة على السواء، وهذه الدرجة للرجال ليست من كسبهم وإنما هي من عطاءات الله لهم لعلمه سبحانه بهم وبما يصلح من شأنهم وشأن من تولوا أمرهم.





إعداد
شوقي عبد الصادق

للرجل على المرأة درجة

وإليك أيها الكريم شيئًا من تفاصيل هذه الدرجة كما قال ابن كثير أي في الفضيلة والخلق والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق.

أولاً في الفضيلة: فقد اختار الله سبحانه وتعالى أنبياءه من الرجال ليحملوا كلامه ورسالاته إلى الناس ولم يختر رسلاً من النساء كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، يقول ابن كثير في تفسيره إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، وأن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات آدم، وحي تشريع، والذي عليه أهل السنة والجماعة أنه ليس في النساء نبيةٌ وإنما فيهن صدِّيقات، كما قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ (فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صدِّيقة بنص القرآن. [ابن كثير: ٢/٤٧٧].

ويقول ابن حجر باب ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ ليس بصريح أنها نبية ولا يمنع وصفها بأنها صديقة، فقد وصف يوسف بذلك.

ونقل النووي أن إمام الحرمين نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، وعن الحسن ليس في النساء نبية ولا في الجن. انتهى بتصرف. [فتح الباري ج٦/٥٤٢، ٥٤٣].

ثانيًا: للرجال درجة في الخَلق والخُلق:

فالذي خَلَق هو الذي لم يجعل النوعين شيئًا واحدًا، فقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، ومن الأسرار العجيبة أن كلمة «وضعتُ» قرئت بالضمة في التاء من قراءة ابن عامر فيكون من جملة كلام امرأة عمران وهي التي تشهد وتقول: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾، وعلى قراءة الجمهور بسكون التاء يكون تقرير رب العالمين: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ لا في الخلق ولا التكوين ولا الاستعداد الفطري، فقد زودت المرأة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق تفكير بل بغير إرادة أحيانًا، وهذه ليست خصائص سطحية وإنما هي غائرة في التكوين العضوي والعصبي للمرأة وفي كل خلية من خلاياها، وزود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام



الوعي والتفكير قبل الحركة، لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام.

كذلك ليس الذكر كالأنثى في التركيب البدني والهرموني والدماغي ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ في فرض بعض الأمور الشرعية مثل الجهاد، فإنه لم يُفرض على النساء ولله تعالى الحكمة في ذلك؛ لأن المرأة هي التي تلد الرجال الذين يجاهدون، وهي مهيأة لولادة الرجال بكل تكوينها العضوي والنفسي ومهيأة لإعدادهم للجهاد وللحياة على حد سواء، فالحرب حين تحصد الرجال وتستبقي الإناث تدع للأمة مراكز إنتاج الذرية، فرجل واحد مع أربع نساء يعوض الأمة الكثير من الرجال، ولكن ألف رجل لا يملكون أن يجعلوا امرأة واحدة تنتج أكثر مما تنتج من رجل واحد، فهذا باب من أبواب حكمة الله التي لم تجعل الذكر كالأنثى وأعفت المرأة من فريضة الجهاد إلا في حالات الضرورة القصوى.

ثالثًا: للرجال درجة في المنزلة والتقديم:

فهو إمامها في الصلاة ولم يعرف التاريخ الإسلامي منذ فجره أن امرأةً مهما بلغ علمها وحفظها لكتاب الله تعالى وفقهها أن المسلمين قدموها لتصلي بهم، ولا طلبت المرأة هذا. والكل يحفظ حديث الرسول ﷺ عند مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سِلْمًا ولا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه». [رقم ٦٧٣].

أليس هذا فضلا ودرجةً من قبيل تفضيل الرسول ﷺ الأقرأ من الرجال وتقديمه وإن كان في القوم من هو أقرأ منه من النساء وأفقه؟!

رابعًا: هو رئيسها والحاكم عليها وليس العكس:

لقوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يقول ابن كثير في تفسيره: لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». رواه البخاري. وكذا منصب القضاء، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيمًا عليها كما قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وعن ابن عباس: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ يعني: أمراء عليهن. [ابن كثير: ٤٦٥/١] بتصرف.

أقول: وأكبر شاهد على عدم الفلاح الوارد في حديث البخاري: «ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ما ذكره القرآن من شأن ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤]، فهو يحكمها ولا تحكمه ويسوسها ولا تسوسه، فهل عرفنا ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والحمد لله رب العالمين.



أسئلة القراء حول الأحاديث

إعداد

أبو إسحاق الحويني

يسأل سائل: نحن ثلاثة من المدرسين في كلية أصول الدين قسم الحديث، وقد عرض لنا أثناء بحث لنا كلامٌ لابن عبد البر أعلَّ به حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام يتسمنون ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها». ونحن نعلم أن هذا الحديث في الصحيحين، فهل لابن عبد البر مستند صحيح في هذا الإعلال؟

الجواب بحول الملك الوهاب: فإنني قبل الشروع في النظر في كلام ابن عبد البر رحمه الله استسمح قراء مجلة التوحيد عذرًا في طرح هذه البحوث، فكثيرًا ما تاتيني وأعرضُ عنها لأنها تستعصي على أفهام كثيرٍ من القراء لدقتها، إذ لا يفهمُها إلا من كان عالمًا بأصول الحديث رواية ودراية، ولكن إخواننا الحوا عليَّ في طلب الجواب، وأرجو أن لا يخلو الأمرُ من فائدةٍ إن شاء الله تعالى.

فاقول: أخرج ابن عبد البر في كتاب التمهيد (١٧/٢٩٨-٢٩٩) من طريق زهير بن حربٍ، ثنا وكيع، ثنا الأعمش، ثنا هلال بن يساف، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ يتسمَّنون، ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يُسالوها».

ثم رواه ابن عبد البر من طريق أحمد بن زهير بن حرب، (حدثنا أبي)، حدثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن هلال بن يساف، عن عمران، عن النبي ﷺ بنحوه.

قال ابن عبد البر: «أدخل ابن فضيل بين الأعمش وبين هلال في هذا الحديث: عليّ بن مُدْرك، وتابعه على ذلك عبد الله بن إدريس ومنصور بن الأسود وهو الصواب، وهذا- عندي والله أعلم- إنما جاء من قبل الأعمش، أنه كان يُدلس أحيانًا وقد يمكن أن يكون من قبل حفظ وكيع لذلك، وإن كان حافظًا، أو من قبل أبي خيثمة، لأن فيه: حدثنا هلال بن يساف، وليس بشيء، وإنما الحديث للأعمش، عن عليّ بن مدرك عن هلال، والله أعلم، وقد روى الأعمش عن هلال بن يساف، غير ما حديث، وقد روى هذا الحديث شعبة، عن علي بن مدرك، عن هلال بن يساف عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، لم يقل: عن عمران بن حصين».

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث في إسناده اضطراب، وليس مثله يعارض به حديث مالك، لأنه من نقل ثقات أهل المدينة، وهذا حديثٌ كوفيٌ لا أصل له، ولو صحَّ كان معناه كمعنى حديث ابن مسعود، على ما فسره إبراهيم النخعي فقيه الكوفة».

قلت: رضي الله عنك!

ففي كلامك هذا نظرٌ من وجوهٍ:

الأول: أنك رجحت رواية من رواه عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن هلال بن يساف، عن عمران.

وهذا الوجه: أخرجه الترمذي (٢٢٢١، ٢٣٠٢) قال: حدثنا واصل بن عبد الأعلى وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٧١) قال: حدثنا ابن نمير، قالا: ثنا محمد بن فضيل، ثنا الأعمش بهذا.

وتابعه منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش بسنده سواء.

أخرجه ابن أبي عاصم (١٤٧٠)، والطبراني في الكبير (ج١٨/ رقم ٥٨٣) قال: حدثنا عليُّ بن عبد العزيز والخطيب في الكفاية (ص٤٧) عن محمد بن يونس، قالوا: ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا منصور بن أبي الأسود، وخالفهم جماعة من أصحاب الأعمش، فرووه عنه، عن هلال بن يساف، عن عمران بن حصين مرفوعًا.

وأخرجه الترمذي (٢٢٢١، ٢٣٠٢) قال: حدثنا الحسين، وأحمد (٤٢٦/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٧٢)، وابن حبان (٧٢٢٩) والطبراني (٥٨٥) عن ابن أبي شيبة، وهو في المصنف (١٧٦/١٢)، والطبراني (٥٨٥) عن سهل بن عثمان، والآجري في الشريعة (١١٥٢) يعقوب بن إبراهيم والدورقي قالوا: ثنا وكيع، ثنا الأعمش، ثنا هلال بن يساف، عن عمران مرفوعًا.

وأخرجه الحاكم (٤٧١/٣)، والطبراني (٥٨٦) عن يعلي بن عبيد، والطحاوي في «المشكل» (٢٤٦٥) عن عيسى بن يونس، والطبراني أيضًا (٥٨٤) عن شيبان بن عبد الرحمن كلهم عن الأعمش، عن هلال بن يساف، عن عمران بن حصين، وأفاد ابن أبي حاتم (٢٦٠٣) أن الثوري رواه عن الأعمش كذلك.

فمن نظر في هذا التخريج، لا يمتري في تقديم رواية الجماعة عن الأعمش وهم ثقات أثبات، وفيهم المقدم في الأعمش، وابن فضيل ومنصور وإن كانا من الثقات فلا يجريان في مضمار من ذكرناهم، ولذلك رجح الترمذي هذا الوجه، فقال بعد رواية حديث وكيع: «وهذا أصح عندي من حديث محمد بن فضيل».

وخالفه أبو حاتم الرازي- كما في «العلل» (٢٦٠٣)- فرجَّح رواية ابن فضيل ومنصور كما قال ابن عبد البر، ومستندُ أبي حاتم- فيما أرى- أفصح عنه ابن عبد البر كما يأتي في:

الوجه الثاني: أن ابن عبد البر رجح حديث الأعمش، عن علي بن مدرك، قائلاً: «لأن الأعمش كان يدلسُ أحيانًا»، وهو يعني أنه يحتمل أن يكون الأعمش أسقط عليّ بن مدرك، ورواه عن هلال بن يساف مباشرة، وهذا كلام صحيح.

ولكن يدفعه أن الأعمش قال: «ثنا هلالٌ»، فأجاب ابن عبد البر بأن هذا التصريح ليس بشيء والمخطئُ فيه إمَّا أن يكون زهير بن حرب أو وكيع.

والجواب: أنه لا وجه لتخطئة واحد منهما.

فأما زهير بن حرب، فقد تابعه أحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، وأبو عمار حسين بن حريث، وسهل بن عثمان، وأما وكيع، فقال ابن عبد البر: «وقد يمكن أن يكون من قبل حفظ وكيع، وإن كان حافظًا»، فهذا كلام غريب، لأننا لا ننكر أن يخطئ الحافظ الثبت في بعض ما يرويه، ولكن يبقى السؤال: ما الدليل على وهمه وليس في يد ابن عبد البر حجةٌ على ما ادَّعاهُ إلا ثبوت واسطة بين الأعمش وبين هلال بن يساف، وهذا ليس بكافٍ في التخطئة كما قدمته مرارًا قبل ذلك ولو كان الذي ذكر تصريح الأعمش بالتحديث ممن يخطئ، أو صاحب أوهام لكان الكلام مقبولاً، أما وهو وكيع بن الجراح- العَلَمُ الشامخ- لا سيما في حديث الأعمش فلا.

الوجه الثالث: أن قوله: «في إسناده اضطرابٌ»، فليس كذلك، وليس كلُّ اختلافٍ مما يضعَّفُ به الحديث، والاختلاف المضرُّ الذي يسميه العلماء اضطرابًا هو الذي تتساوى فيه وجوه الرواية، وليس ثمَّ مرجِّحٌ، فحينئذٍ تتساقط كلها، وينتفي هذا الاضطراب بالجمع أو الترجيح والجمعُ

هنا أولى، بل هو الراجحُ، ولا مانع أن يرويه الأعمش على الوجهين.

ولو جاز لنا أن ندعي اضطرابًا في هذا الحديث، لكان في الوجه الذي اختاره ابن عبد البر، فقد أخرجه النسائي في كتاب القضاء (٣/٤٩٤/٦٠٣٠)، ومن طريقه ابنُ عبد البر في التمهيد (١٧/٣٠٠) قال: أخبرنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن علي بن مدرك، عن هلال بن يساف، قال: قدمتُ البصرة فإذا رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ- ليس أنس بن مالك- قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

فها هو شعبة أبهم صحابي الحديث، ولكن ليس في الحديث اضطراب بحمد الله تعالى، وانتظر ما يأتي.

الوجهُ الرابعُ: أن ابن عبد البر ختم بحثهُ قائلاً: «وهذا حديثُ كوفيٌ لا أصل له». فهذا أبعدُ عن الصواب من كل ما مضى، وقد رواه عن عمران بن حصين آخرون غير هلال بن يساف، منهم:

١- زَهْدم بن مضرِّب.

وهذا يرويه شعبة بن الحجاج، قال: سمعت أبا حمزة- وهو نصر بن عمران- قال: سمعت زهدم بن مضرِّب، قال: سمعتُ عمران بن حصين يحدِّثُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة- ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يُتَّمنون».

أخرجه البخاري في الرقاق (١١/٢٤٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥/٢١٤)، وأحمد (٤/٤٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٦٩)، والطبراني في الكبير (ج١٨/رقم ٥٨٢) عن محمد بن جعفر غندر، والبخاري في «الأيمان والنذور» (١١/٥٨٠- ٥٨٦)، ومسلم، وأحمد (٤/٤٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٩١) عن يحيى بن سعيد القطَّان، والبخاري في كتاب الشهادات (٥/٢٥٨- ٢٥٩)، وفي التاريخ الكبير (١/١/١٨٨)، والبيهقي (١٠/١٢٣) عن آدم بن أبي إياس، والبخاري في فضائل الصحابة (٧/٣)، عن النضر بن شميل، ومسلم (٢٥٣٥/٢١٤)، وأبو القاسم البغوي في مسند ابن الجعد (١٣٢٨)، والبيهقي في السنن الكبير (١٠/٧٤)، وفي الصغير (٤/١١٦)، وفي الدلائل (٦/٥٥٢) عن بهز بن أسد، ومسلم، وأبو القاسم البغوي (١٣٣٠) عن شبابة بن سوار، وأبو القاسم البغوي (١٣٢٣)، والطبراني (١٨/ رقم ٥٨١)، والبغوي في شرح السنة (١٤/٦٦)، عن علي بن الجعد، والنسائي (٧/١٧- ١٨) عن خالد بن الحارث، وأحمد (٤/٤٢٧)، عن حجاج بن محمد الأعور، والطيالسي في مسنده (٨٤١)، ومن طريقه أبو القاسم البغوي (١٣٢٩)، وأبو عوانة في المستخرج (٦٤١٢) عن أبي زيد النحوي، والطحاوي في شرح المعاني (٤/١٥١) عن بشر بن ثابت البزار، والطبراني (٥٨١) عن عمرو بن حكام، وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (٣/٢٨)، عن أسد بن موسى، قالوا جميعًا، ثنا شعبة بهذا وتوبع شعبة.

تابعه أبان بن يزيد العطار، فرواه عن أبي جمرة بهذا الإسناد وأخرجه البخاري في الكبير (١/١/١٨٨)، والطبراني في الكبير (ج١٨/ رقم ٥٨٠)، عن مسلم بن إبراهيم، وابن أبي عاصم (١٤٦٨)، وابن حبان في الثقات (٦/١)، والطبراني (١٨/٥٨٠) عن إبراهيم بن الحجاج السامي، والحاكم في علوم الحديث (ص٤٦) عن موسى بن إسماعيل قالوا: ثنا أبان بن يزيد العطار بهذا.

٢- زرارة بن أوفى:

وهذا يرويه قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرنُ الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال: والله أعلم أذكر الثالث أم لا؟ «ثم ينشأ قومٌ يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون، ولا يوفون، ويخونون ولا يُتَّمنون، ويفشو فيهم السمن».

أخرجه مسلم (٢٥٣٥/٢١٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢٢)، وأحمد (٤/٤٤٠)، وابن حبان (٦٧٢٩)، والبزار (٣٥٢١- البحر)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/١٥١)، والطبراني (ج١٨/ رقم ٥٢٧) عن أبي عوانة، ومسلم أيضًا، وأحمد (٤/٤٢٦)، والبزار (٣٦٠٣)، والطحاوي في المشكل (٢٤٦٤)، والطيالسي (٨٥٢)، والطبراني (٥٢٩)، والبيهقي (١٠/١٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٥٩، ٢٦٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/٦٧) عن هشام الدستوائي، والطحاوي في المشكل (٢٤٦٣) عن شعبة بن الحجاج، والطبراني (٥٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٧٨) عن همام بن يحيى، والطبراني في الكبير (٥٢٨)، وفي الأوسط (٥٥٢٦، ٨٨٦٨)، وأبو عمرو الداني في الفتن (٣١٦) عن مطر الورَّاق كلهم عن قتادة بهذا الإسناد.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: وبعد هذا التخريج ظهر لك أن الحديث صحيح، وحسبك أن صاحبي «الصحيح» اتفقا على تخريجه، فكيف يقال: لا أصل له؟!

الوجه الخامس: أن ابن عبد البر طعن على حديث عمران هذا، لأنه نصب التعارض بينه وبين حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها». وهو صحيح، أخرجه مسلم في «الأقضية» (١٩/١٧١٩)، وقد وقع في إسناده اختلاف ليس هذا موضع بيانه.

فقد أجاب أهل العلم بأجوبة، ساقها الحافظ في الفتح (٥/٢٥٩- ٢٦٠) قال: «واختلف العلماء في ترجيحهما- يعني: حديث عمران وزيد بن خالد- فجنح ابن عبد البر إلى ترجيح حديث زيد بن خالد لكونه من رواية أهل المدينة فقدمه على رواية أهل العراق، وبالغ فزعم أن حديث عمران هذا لا أصل له، وجنح غيره إلى ترجيح حديث عمران لاتفاق صاحبي الصحيح عليه وانفراد مسلم بإخراج حديث زيد بن خالد، وذهب آخرون إلى الجمع بينهما فأجابوا بأجوبة: أحدهما أن المراد بحديث زيد من عنده شهادة لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها فيأتي إليه فيخبره بها أو يموت صاحبها العالم بها ويُخَلِّف ورثة فيأتي الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك، وهذا أحسن الأجوبة، وبهذا أجاب يحيى بن سعيد شيخ مالك وغيرهما».

ثانيهما أن المراد به شهادةُ الحسبة، وهي ما لا يتعلق بحقوق الآدميين المختصة بهم محضًا، ويدخل في الحسبة مما يتعلق بحق الله أو فيه شائبة منه كالعتاق والوقف والوصية العامة والعدة والطلاق والحدود ونحو ذلك، وحاصله أن المراد بحديث ابن مسعود: الشهادة في حقوق الآدميين، والمراد بحديث زيد بن خالد الشهادةُ في حقوق الله.

ثالثها: أنه محمولٌ على المبالغة في الإجابة إلى الأداء، فيكون لشدة استعداده لها كالذي أداها قبل أن يسألها. كما يقال في وصف الجواد: إنه ليعطي قبل الطلب، أي يعطي سريعًا عقب السؤال من غير توقف.

وهذه الأجوبة مبنية على أن الأصل في أداء الشهادة عند الحاكم أن لا يكون إلا بعد الطلب من صاحب الحق، فيخص ذم من يشهد قبل أن يستشهد بمن ذكر ممن يخبر بشهادة عنده لا يعلم صاحبها بها أو شهادة الحسبة، وذهب بعضهم إلى جواز أداء الشهادة قبل السؤال على ظاهر عموم حديث زيد بن خالد، وتأولوا حديث عمران بتأويلات: أحدها أنه محمول على شهادة الزور، أي يؤدون شهادة لم يسبق لهم تحملها، وهذا حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم.

ثانيها المراد بها الشهادة في الحلف، يدل عليه قول إبراهيم في آخر حديث ابن مسعود: «كانوا يضربوننا على الشهادة» أي قول الرجل: أشهد بالله ما كان إلا كذا على معنى الحلف، فكره ذلك كما كره الإكثار من الحلف، واليمين قد تسمى شهادة كما قال تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾، وهذا جواب الطحاوي.

ثالثها المراد بها الشهادة على المغيب من أمر الناس، فيشهد على قوم أنهم في النار وعلى قوم أنهم في الجنة بغير دليل، كما يصنعُ ذلك أهلُ الأهواء، حكاه الخطابي.

رابعها المراد به من ينتصب شاهدًا وليس من أهل الشهادة.

خامسها المراد به التسارع إلى الشهادة وصاحبها بها عالم من قبل أن يسأله. والله أعلم. انتهى.

فهذا ما ظهر لي من الجواب عن إعلال ابن عبد البر رحمه الله، والله أسأل أن يرزقنا فهما في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمجنون

•• الحلقة الخامسة والخمسون ••

نواصل
في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي صارت أصلاً لمخالفة عصرية جديدة ألا وهي: «التعامل مع الجان بضرب المجنون».

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

ولقد بينت من قبل في هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» في الحلقة «الرابعة» فرية «إحضار الجان»، وبطلان ما نسبوه إلى رسول الله ﷺ من أن النبي ﷺ حدّد آيات عند قراءتها في أذن المجنون يحضر الجان، وبينت أن القصة واهية.

وسأواصل إن شاء الله بيان هذه الأصول الواهية التي بها احترفت مهنة التعامل مع الجان، وانتشرت من جديد العرافة والكهانة بصورة جديدة، وكانت هذه المرة وراء ادعاء العلاج بالقرآن الكريم حتى يظلوا يمارسون هذا التعامل في حماية اسم القرآن الكريم، وكي تزداد قوة تأثيرهم في عامة الناس، والعامة لا يفرقون بين الرقى الشرعية الثابتة عن النبي ﷺ وبين هذه المخالفة العصرية: مخالفة التعامل مع الجان، والتي يدّعي فيها صاحب المخالفة أنه يعتمد على السنة في إحضار الجان والتعامل معه.

فليفرق القارئ الكريم بين هذه المخالفة التي أصبح لها متخصصون في كل مكان يلجأ ضحايا هذه المخالفة إليهم، وتتعلق قلوبهم بهم، وبين الرقى الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، وفيها يلجأ الناس إلى الله يوجهون وجوههم لله لا يلتفتون إلى أشخاص فيحقق الله لهم وعده في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

أولاً: متن قصة ضرب النبي ﷺ للمجنون

رُوي عن أُم أبان بنت الوازع عن أبيها أنّ جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة قلت: يا رسول الله، إنّ معي ابنًا لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به تدعو الله عز وجل له، فقال: «ائتني به». فانطلقت به إليه، وهو في الركاب، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ادْنُهُ مِني اجْعَلْ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِيني». قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه

وأسفله، فجعل يضرب ظَهْرَهُ حتى رأيت بياض إبطيه وهو يقول: «اخرج عدو الله». فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له بماء، فمسح وجهه ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه». اهـ.

ثانيا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/٢٧٥) (ح٥٣١٤) قال: حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مطر بن عبد الرحمن الأعنق، حدثتني أم أبان بنت الوازع عن أبيها أن جدها الزارع انطلق فذكر القصة.

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به لا يصح وهو غريب لا يروى عن الزارع إلا بهذا الإسناد.

وعلة هذا الخبر أم أبان بنت الوازع بن زارع:

١- أوردها الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٦١١/١١٠٤) قال: «أم أبان بنت الوازع عن جدها زارع، تفرد عنها مطر الأعنق».

٢- وأوردها الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢/٤٤٥/٨٥٣٦) وقال:

أ- أم أبان بنت الوازع بن زارع حديثها في أهل البصرة.

ب- روت عن جدها زارع بن عامر العبدي، وقيل عن أبيها عن جدها.

جـ- روى عنها: مطير بن عبد الرحمن الأعنق.

٣- وأوردها الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٢/٤٨٥) وأقر كلام الإمام المزي ممَّا أوردناه يتبين:

١- أن أم أبان انفرد راو واحد بالرواية عنها وهو مطير بن عبد الرحمن الأعنق، وهذا واضح بتصريح الإمام الذهبي بالانفراد، وبيان الإمام المزي والحافظ ابن حجر فيمن روى عنها فلم يذكر سوى مطير.

لذلك بعد أن أورد الإمام الهيثمي الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «مجمع الزوائد» (٩/٣) قال: «رواه الطبراني وأم أبان لم يرو عنها غير مطر».

٢- قلت: وهذا التحقيق الذي نثبت به أن أم أبان انفرد راو واحد بالرواية عنها فلم يرو عنها إلا مطير له أهميته عند علماء أصول الحديث يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» النوع (٤٠): «فإن سمى الراوي وانفرد راو واحد بالرواية عنه فهو مجهول العين».

٣- بالتحقيق نجد أن أم أبان لم يوثقها أحد من علماء الجرح والتعديل.

٤- بهذا يتبين أن أم أبان:

أ- مجهولة العين

ب- لم يوثقها أحد.

قلت: فهذا الخبر الذي جاءت به القصة حكمه: عدم القبول كما هو مبين في «شرح النخبة».

وكذا في ألفية العراقي أنه حكمه أنه خبر مردود:

مجهول عين: من له راو فقط
وردهُ الأكثر والقسم الوسط
مجهول حال باطن وظاهر
وحكمه الرد لدى الجماهير

قال السخاوي في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي» (٢/٤٣): «مجهول عين» وهو كما قاله غير واحد (من له راو) واحد فقط، (و) لكن قد (رده) أي مجهول العين (الأكثر) من العلماء مطلقًا».

قلت: فهذا الخبر الذي جاءت به القصة غريب مردود فالقصة واهية.

الأثر السيئ لهذه القصة الواهية

استنبط بعضهم من هذه القصة الواهية دليلاً واهيًا على ضرب المرضى والمجانين.

وهذا الاستنباط كان له أثره السيئ، حيث تمادى المعالجون ومنهم جهلة قاصرون فاعتبروا كل الأمراض تَلَبُّسًا من الجان، واعتبروا أنفع الوسائل هي الضرب المبرح أو الخنق أو إيذاء المريض بحجة أنه يؤذي الجن المتلبس، وقد حدثت مآسٍ بل حالات قتل ما لها اسم سوى القتل وسوى إزهاق النفس التي حرم الله بغير حق، فيا ويل هؤلاء القتلة من إثم هذا القتل.

ولقد بينت عدم صحة هذه القصة المستخدمة في إحضار الجان وأنها باطلة ومنكرة ولم يعمل بها أحد من الصحابة وهي من الأمور المحدثة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». كذا في مسلم (ح٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله.

من أجل هذا عندما سُئل الشيخ الألباني رحمه الله في فتاويه المسجلة عن التعامل مع الجن وسؤال الجن هل أنت مسلم؟... هل أنت نصراني؟

أجاب قائلاً: «التعامل مع الجن ضلالة عصرية ولا يجوز لمسلم أن يزيد على الرقية الشرعية كما هي ثابتة في الكتاب والسنة وأدعية الرسول ﷺ». اهـ.

وما فعل الشيطان بهؤلاء إلا لإعراضهم عن ذكر الله إعراض تلاوة أو إعراض عمل أو هما معًا قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

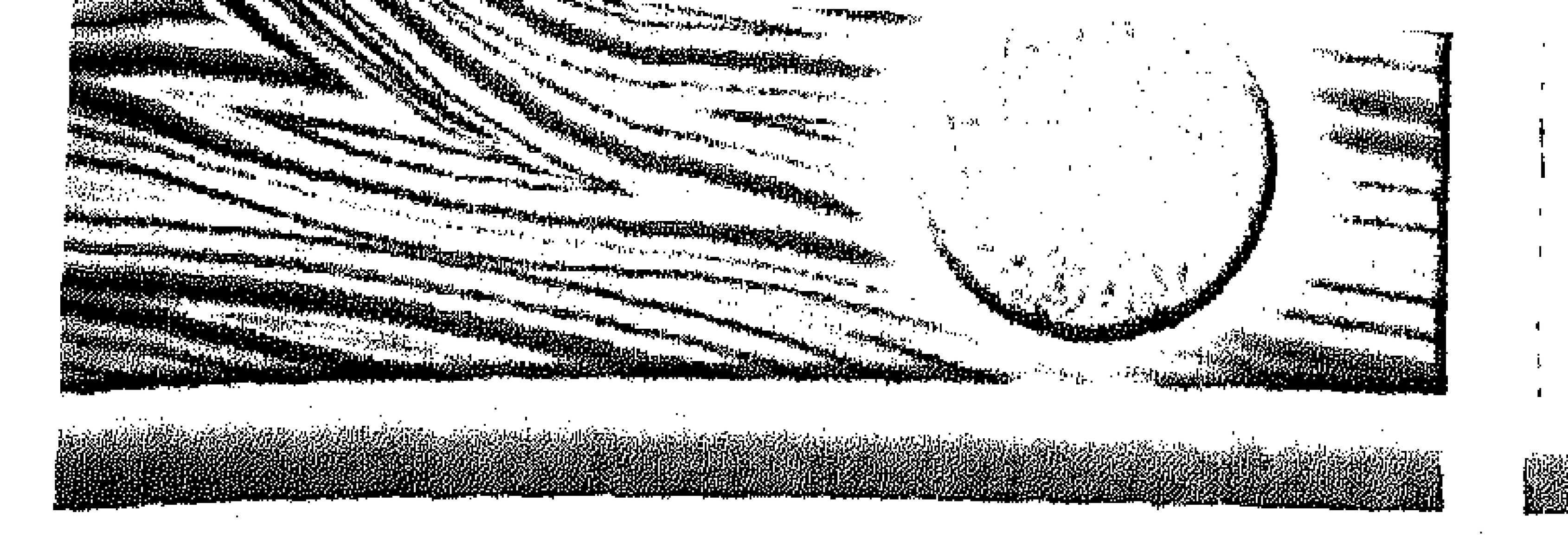
وإن تعجب فعجب أن يلجأ هؤلاء إلى الذين يدعون التعامل مع الجان بغير علم ولا هدى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ففيه حرز من الشيطان.

فقد أخرج أحمد في «مسنده» والبخاري ومسلم في «الصحيحين» والترمذي في «السنن» وابن ماجه في «السنن» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك».

وبدلاً من أن يذهب هؤلاء المساكين، إلى الذين اتخذوا هذه المخالفة مهنة، ويتركون بيوتهم للشياطين من ورائهم، كان الأولى أن يتمسكوا بالسنة المطهرة ليطهروا بيوتهم من الشياطين، فقد أخرج أحمد في «مسنده»، ومسلم في «صحيحه»، والترمذي في «السنن» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة». اهـ.

قلت: بل وفي خارج بيوتنا فقد بينت السنة كيف يحصن المسلم نفسه فقد أخرج مسلم في «صحيحه» (ح٢٧٠٨) من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة بنت حكيم السلمية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل».

والحمد لله رب العالمين

من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حكم الأربعين للميت والذكرى السنوية

س: يقوم الناس في مصر خاصة بعمل ما يسمى بالأربعين للميت- أي بعد مرور أربعين يومًا على وفاته- ومعلوم أن هذه بدعة فرعونية، ولكن المهم أن الناس (أهل المتوفى) يجمعون المشايخ- القراء- أو بعضهم ليقوموا بقراءة القرآن كله، وهذا ما يسمى« الختمة » وأخيرا يأكلون ما طاب من الطعام ويأخذون الأجر الكثير من أهل الميت، ويقوم الناس أيضا في الذكرى السنوية للميت بعمل مثل ذلك، فما الرأي الصواب في هذه القراءة، وهل تصل للميت، وما حكم أخذ الأجر عليها، وهل هذا مال باطل، وما حكم أخذ الأجر على قراءة القرآن عموما؟

الجواب: الاجتماع عند مضي أربعين يومًا على وفاة الميت بدعة، وقراءة القرآن أو ما يسمى بالختمة للميت بدعة ثانية، وأكل هؤلاء القراء ما قدم لهم من الطعام وأخذهم الأجرة على القراءة حرام، وكذلك إحياء الذكرى السنوية للميت بمثل ذلك حرام، ولا يجوز أخذ أجر على مجرد قراءة القرآن؛ لأن قراءته عبادة محضة، فكل هذه الأعمال وأخذ الأجر عليها لا يجوز، اما أخذ الأجرة على تعليم القرآن وعلى الرقية به فجائز، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع أهل العلم أن أخذ الأجرة على مجرد التلاوة محرم، لا نزاع بينهم في ذلك.

صلاة المنفرد بدون أذان

س: هل يجوز للرجل المنفرد أن يصلي بدون أذان؟

الجواب: نعم يجوز له أن يصلي بدون أذان، لكن إن كان في بادية أو مزرعة نائية ونحو ذلك شرع في حقه أن يؤذن ولو كان سيصلي وحده، كما تشرع له الإقامة مطلقًا، لعموم الأدلة ولقول أبي سعيد الخدري الصحابي الجليل رضي الله عنه لعبد الله الأنصاري: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ، [خرجه الإمام أحمد والبخاري].

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إذا لم يستطع المؤذن إكمال الأذان هل يكمله غيره؟

س: ما العمل إذا لم يستطع المؤذن إكمال الأذان لعذر شرعي كمرض أو وفاة أو غيبوبة وما شابه ذلك، فهل يكمل غيره من حيث توقف المؤذن أم يعيد الأذان من أوله؟

الجواب: يكمل غيره الأذان، وإن بدأه من أوله فلا حرج عليه. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تحديد نسبة الربح

س: هل توجد نسبة محدودة من الربح في التجارة، أم أن الربح غير محدود؟ نريد الجواب على هذا مع الدليل، ولا تنسوا كثرة الضرائب التي يؤديها التاجر كل سنة؟

الجواب: يجوز لمن اشترى بضاعة للتجارة أو للاقتناء أن يبيعها بعد بأكثر من ثمنها حالاً أو مؤجلاً، ولا نعلم حدًا ينتهى إليه في الربح، لكن التخفيف والتيسير هو الذي ينبغي؛ لما ورد فيه من الترغيب، إلا إذا كانت السلعة معروفة في البلد بثمن معلوم فلا ينبغي للمسلم أن يبيعها على جاهل بأكثر من ذلك، إلا إذا أعلمه بالحقيقة؛ لأن بيعها بأكثر نوع من الغبن، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يغشه ولا يخونه، بل ينصح له أينما كان، قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة» الحديث، رواه مسلم في صحيحه، وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله اليماني قال: بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

بيع التقسيط

س: هل تعتبر الزيادة التي يضيفها البائع عند البيع بالدين ربا أم لا؟ مثلاً: حاجة تساوي خمسمائة درهم إذا أديتها نقداً حالاً، أما إذا أديتها إلى أجل وبالأقساط فإنه يضاف إلى ثمنها نسبة مئوية، خمسة أو عشرة في المائة، هل هذه الزيادة تعتبر ربا أم لا؟

الجواب: إذا بيعت البضاعة بأكثر من قيمتها الحاضرة إلى أجل، وحددت قيمتها المؤجلة عند البيع بالزيادة- فلا شيء في ذلك، سواء كان ذلك إلى أجل واحد أو كان ذلك أقساطاً إلى آجال معلومة، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن بريرة اشترت نفسها من سادتها بتسع أواق، في كل عام أوقية. [موطأ مالك (٢/٧٨٠، ٧٨١)، ومسند أحمد (٦/٢١٣)، وصحيح البخاري (١/١١٧، ٣/١٢٦-١٢٨، ١٧٧، ١٨٤)، وصحيح مسلم (٢/١١٤١) برقم (١٥٠٤)، وسنن أبي داود (٤/٢٤٥)، برقم (٣٩٢٩)، وسنن النسائي (٦/١٦٤)]، وهذا من البيع بالأقساط.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حكم اقتناء الحيوانات للزينة

س: أود أن أتقدم لسماحتكم بسؤال عن حكم الشرع عن الاتجار أو اقتناء الحيوانات التي تستخدم لإشباع الهواية أو لأغراض الزينة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- طيور الزينة مثل: الببغاوات والطيور الملونة.

٢- الزواحف مثل: الثعابين والسحالي.

٣- المفترسات مثل: الذئاب والأسود والثعالب.. الخ.

حيث إنها تستخدم إما لأشكالها الجميلة أو لفرائها، مع العلم بأنها غالية الثمن، وتحفظ تحت الأسر، والتجارة فيها لها مردود عالي جداً؟

الجواب: أولاً: بيع طيور الزينة مثل الببغاوات والطيور الملونة والبلابل لأجل صوتها جائز؛ لأن النظر إليها وسماع أصواتها غرض مباح، ولم يأت نص من الشارع على تحريم بيعها أو اقتنائها، بل جاء ما يفيد جواز حبسها إذا قام بإطعامها وسقيها وعمل ما يلزمها، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير- قال: أحسبه فطيماً- وكان إذا جاء قال: «يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟» نغر كان يلعب به. الحديث. والنغر نوع من الطيور، قال الحافظ ابن حجر في شرحه «فتح الباري» في أثناء تعداده لما يستنبط من الفوائد من هذا الحديث: وفيه... جواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه، وقص جناح الطير إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما، وأيهما كان الواقع التحق به الآخر في الحكم، وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». [أخرجه أحمد (٢/٢٦١)]، وإذا جاز هذا في الهرة جاز في العصافير ونحوها.

وذهب بعض أهل العلم إلى كراهة حبسها للتربية، وبعضهم منع من ذلك، قالوا: لأن سماع أصواتها والتمتع برؤيتها ليس للمرء به حاجة، بل هو من البطر والأشر ورقيق العيش، وهو أيضاً سفه؛ لأنه يطرب بصوت حيوان صوته حنين إلى الطيران، وتأسف على التخلي في الفضاء، كما في كتاب) الفروع وتصحيحه) للمرداوي (٤/٩)، و(الإنصاف) (٤/٢٧٥).

ثانياً: من شروط صحة البيع كون العين المعقود عليها مباحة النفع من غير حاجة، والثعابين لا نفع فيها، بل فيها مضرة، فلا يجوز بيعها ولا شراؤها، وهكذا السحالي، وهي: السحابل، لا نفع فيها، فلا يجوز بيعها ولا شراؤها.

ثالثاً: لا يجوز بيع المفترسات من الذئاب والأسود والثعالب وغيرها من كل ذي ناب من السباع؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، ولما في ذلك من إضاعة المال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعته.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



دراسات شرعية

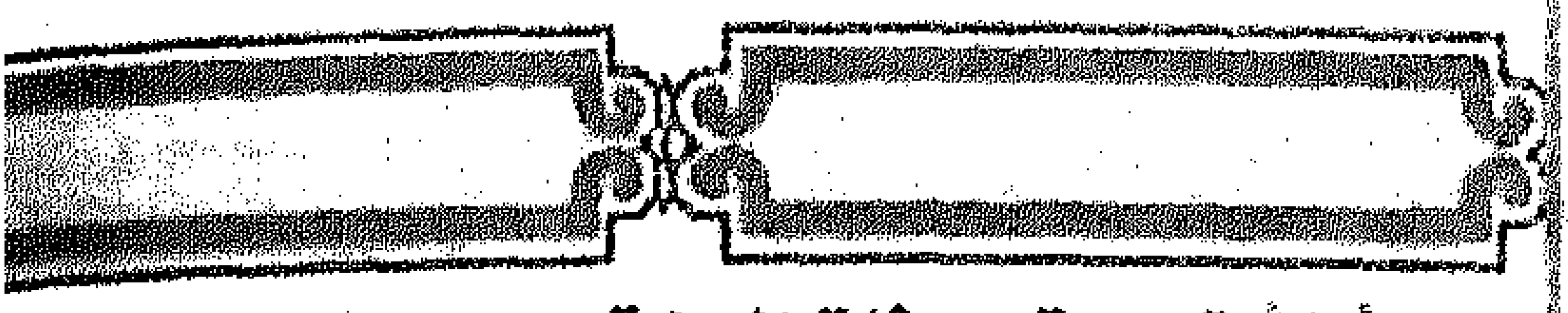
مسائل في السُّنَّة

الحلقة الأولى

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه بعض مسائل في السنة تكثر الحاجة إلى معرفتها والوقوف عليها الفينة بعد الأخرى، وذلك لأهميتها التي تستمدها من تعلقها بالسنة- المصدر الثاني للتشريع.



أولاً: تعدد تعريفات السنة:

تتعدد تعريفات السنة- اصطلاحًا- بين الأصوليين والفقهاء والمحدثين، وهذا التعدد قد يؤدي إلى بعض الأخطاء، وذلك عندما نستخدم معنى اصطلاحيًا للسنة خاصًا بطائفة من أهل العلم كالفقهاء مثلاً، ثم نعممه على كافة معاني السنة الواردة في النصوص المختلفة من غير تفريق بين استخدام وآخر أو بين معنى وآخر. (وسنرجع لبيان ذلك بعد ذكر تعريفات السنة).

١- تعريف السنة عند الأصوليين:

هي كل ما صحَّ عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات.

أو بتعريف آخر: تشمل قوله ﷺ وفعله وتقريره وكتابته وإشارته وهمَّه وتركه.

وبعد ذلك تحمل السنة على رتبتها من وجوب أو ندب أو إباحة أو تحريم أو كراهة حسب ما يقتضيه القول أو الفعل أو التقرير.

فائدة: الحكم التكليفي وأقسامه: الحكم التكليفي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير. فالخطاب الشرعي إما أن يكون طلبًا أو تخييرًا، فإن كان طلبًا فهذا يشمل طلب الفعل وطلب الترك، والطلب قد يكون جازمًا وغير جازم. فإن كان الطلب جازمًا فهو الواجب، وإن كان غير جازم فهو المندوب. وإن كان النهي جازمًا فهو المحرم، وإن كان غير جازم فهو المكروه، ويبقى ما لا يتعلق به أمر أو نهي وهو المباح، فحاصل هذه الأقسام خمسة، وبيانها كالتالي:

١- الواجب: هو الخطاب الدال على طلب الفعل طلبًا جازمًا بحيث يتعلق الذم بتاركه، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وذلك بأن يقترن الطلب بما يدل على تحتيم فعله، إما بصيغة الطلب نفسها، أو بترتيب العقوبة على تركه أو بأية قرينة شرعية أخرى.

٢- المندوب: هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلبًا غير جازم ولا يتعلق الذم بتاركه، وذلك بأن تكون صيغة طلبه نفسها لا تدل على تحتيمه، أو اقترنت بطلبه قرائن تدل على عدم التحتيم، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فالأمر هنا للندب لا للوجوب، لأنه توجد قرينة في الآية التالية لهذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فإنها تشير إلى أن الدائن له أن يثق بمدينه ويأتمنه من غير كتابة الدين عليه، وإن كانت الآية وردت في سياق السفر تغليبًا لا حصرًا فيه.

ومثل قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. فمكاتبة(١) المالك مندوبة، والقرينة أن المالك حر التصرف في ملكه، فهذه قرينة شرعية، ومثل حديث النبي ﷺ : «من توضأ

يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل». فترك للمكلف الاختيار، مما يدل على الندب؛ لأن الواجب لا تخيير فيه. كما يعرف المندوب أيضًا بالقرينة الصارفة عن الإلزام، مثل ترك الرسول ﷺ لأمر من الأمور في بعض الأوقات فإنه يدل على أنه مندوب.

٣- المحرم: هو ما طلب الشارع الكف عن فعله طلبًا جازمًا بحيث يتعلق بفاعله ذم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]، فالنهي هنا يدل على أنه حتمي. أو يترتب على الفعل عقوبة، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]. ومثل حديث النبي ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة...».

٤- المكروه: هو ما طلب الشارع من المكلف الكف عن فعله لا على وجه الحتم والإلزام وبحيث لا يتعلق الذم بفاعله، وذلك بأن تكون الصيغة نفسها دالة على ذلك، كأن يقال إن الله تعالى كره لكم كذا، أو اقترن النهي بما يدل على الكراهة لا التحريم، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]، ومن القرائن على التفرقة بين الحرام والمكروه ترتيب العقوبة على الفعل وعدم ترتيبها. مثل حديث أم عطية رضي الله عنها: نهانا النبي ﷺ عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا. فقولها: ولم يعزم علينا أفادت الكراهة لا التحريم.

٥- المباح: وهو ما خيَّر الشارعُ المكلف بين فعله وتركه، فلا يتعلق بفعله أو تركه مدح ولا ذم، أو رفع الإثم عن الفعل، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

ثانيا: تعريف السنة عند الفقهاء: تكون بمعنى الندب أو استحباب فعل الشيء، وقد تطلق عندهم في مقابل البدعة، فيقولون: فلان على سنة، فلان على بدعة.

ثالثًا: تعريف السنة عند أهل الحديث:

إذا وردت كلمة سنة في حديث النبي ﷺ فلا تدل على المعنى الاصطلاحي أو المعنى الفقهي، إنما تكون بمعنى الطريقة، مثل قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...».

[أبو داود والترمذي]

فمن أين يأتي الخطأ بعد أن بيَّنا معاني السنة المتعددة؟ يأتي من التعميم، فيعمد أحدنا- مثلاً- لمعنى السنة عند الفقهاء، وهي مرادف للمستحب والمندوب، الذي هو قسم من أقسام الحكم التكليفي الخمسة كما بينا، فيجعل كل ما ورد من سنة النبي ﷺ من باب المستحب والمندوب، وبالتالي فلا شيء عليه إن لم يفعل السنة لأنها كلها من باب المستحبات، وهذا خطأ بيِّن كما سنرى إن شاء الله.

ثانيا: مكانة السنة في الشرع:

الشرع قائم على أصلين هما القرآن والسنة، فمن أنكر السنة هدم الدين، فالسنة إما أن تستقل بالتشريع وإمَّا أن تفسِّر القرآن وتبينه، وتقيد مطلقه، وتخصص عامَّه.

١- استقلال السنة بالتشريع:

قد تُثبت السنة حكمًا سكت عنه القرآن، فيكون هذا الحكم ثابتًا بالسنة، ولا يدل عليه نص في القرآن، فيحرم النبي ﷺ كما حرم الله تعالى، ومن أمثلة ذلك:

أ- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

ب- تحريم أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطيور.

جـ- تحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال.

د- التحريم بالرضاعة مثل ما يحرم من النسب.

هـ- تحريم الحمر الأهلية وتحريم زواج المتعة.

كما أن السنة توجب ما ليس في القرآن بنصه، ومن أمثلة ذلك:

أ- وجوب خطبة الجمعة لأن النبي ﷺ كان يفعلها ويداوم عليها، ولم يثبت أنه تركها إلى أن لقي الله عز وجل، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

ب- وجوب النية في الصلاة؛ لحديث: «إنما الأعمال بالنيات...».

جـ- وجوب تكبيرة الإحرام؛ لحديث: مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم. [صحيح ابن ماجه وغيره]

د- وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة، لحديث النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [متفق عليه]

وباقي أركان الصلاة واجبة استدلالاً بحديث النبي ﷺ للمسيء صلاته. [متفق عليه]

هـ- وجوب زكاة الفطر، لحديث النبي ﷺ الذي رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين». [متفق عليه]

٢- بيان السنة للقرآن:

السنة مبينة لما أجمل في القرآن، ومخصصة لعمومه، ومقيدة لمطلقه، والبيان والخاص والمقيد مقدم على المجمل والعام والمطلق، إذ العمل بهذه الثلاثة (المجمل والعام والمطلق) متوقف على تلك (المفصَّل والمخصص والمقيد) ما

وُجدت.

ومن هنا قال بعض السلف: إنما هو الكتاب والسنة، والكتاب احوج إلى السنة، من السنة إلى الكتاب.

ومن أمثلة بيان السنة للقرآن:

ففي تخصيص العام: قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾ [المائدة: ٣]. فخصص النبي ﷺ العموم هنا بحديثه: «أحلَّ لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالحوت (السمك) والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال». [السلسلة الصحيحة]

وكذلك المحرّمات في النكاح، بعد أن ذكر الله تعالى أصنافهن، قال تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فخصص النبي ﷺ العموم هنا بحديثه: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها» [متفق عليه].

وفي تقييد المطلق: قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، فأطلق سبحانه وتعالى (اليد) وقيدها النبي ﷺ بأنها الكف إلى الرسغ.

وكذلك مسح الكفين في التيمم، فقد قال الله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]. وقيد النبي ﷺ التيمم هنا بالكفين (حديث التيمم إلى المرفقين ليس بصحيح).

أما في تبيين المجمل وتفصيله وتفسيره: فقد أجمل الله تعالى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ولم يبين سبحانه وتعالى كيفية ذلك في القرآن، وبيَّن النبي ﷺ عدد الركعات لكل وقت وكيفية الأداء، وصلى على المنبر وهم ينظرون إليه وهو يقول ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وبيَّن النبي ﷺ شروط الزكاة ومقدار الأنصبة لكل نوع على حدة، وكذلك الحج أجمله الله تعالى، وفسَّره النبي ﷺ في حجة الوداع قائلاً: «خذوا عني مناسككم».

ثالثًا: وجوب اتباع السنة:

أمر الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ في نحو أربعين موضعًا من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [: ٣٢]. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وهذه النصوص وغيرها تؤكد وجوب اتباع الرسول ﷺ، وأن طاعته من طاعة الله، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن التقديم بين يدي الله ورسوله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قال مجاهد: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، لا تفتاتوا عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسان رسوله، قال شيخ الإسلام فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعًا لقوله وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين. [مجموع الفتاوى: ج١٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

نجد أن السنة كلها مندرجة تحت هذه الآية الكريمة، أي أنها ملزمة للمسلمين للعمل بالسنة النبوية فيكون الأخذ بالسنة أخذًا بكتاب الله، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣، ٤].

والواقع أن العمل بهذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ هو من لوازم نطق المسلم بالشهادتين؛ لأن قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، اعتراف لله تعالى بالألوهية وبمستلزماتها، ومنها إرسال الرسل إلى خلقه وإنزال كتبه.

وقوله: أشهد أن محمدًا رسول الله، إعلام من الله لخلقه برسالة محمد ﷺ، وهذا يستلزم الأخذ بكل ما جاء به هذا الرسول الكريم عن الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما جاء به رسول الله، ولا يحق له أن يعصي الله بما نهاه عنه رسول الله. [أضواء البيان].

وأما الأدلة من السنة على وجوب اتباعها فكثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله». [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من يأبى». قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [البخاري]

وقد اتفق السلف على أن سنة النبي ﷺ يجب اتباعها مطلقًا، لا فرق في ذلك بين السنة الموافقة أو المبينة للكتاب وبين السنة الزائدة على ما في الكتاب.

قال عبد الرحمن بن مهدي: والزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث عن النبي ﷺ: «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله، وإنما أنا موافق كتاب الله وبه هداني الله».

وقد عارض أهل العلم هذا الحديث وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفًا لكتاب الله لأنا لم نجد في كتاب الله ألا يقبل من حديث رسول الله ﷺ

إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره. [جامع بيان العلم وفضله]

وقال ابن القيم: فما كان من السنة زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، أمّا إذا قيل أنه لا تجب طاعته إلاّ فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] [معالم أصول الفقه للجيزاني، التأسيس: مصطفى سلامة]

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: بيننا وبينكم هذا القرآن، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن (الكتاب) ومثله معه». [أخرجه الترمذي ح٢٦٦٣]

فطريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية الرسول ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة. [فتاوى ابن تيمية: ج٣]

وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا».

[خطبة الحاجة للألباني]

وقال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان».

[صحيح الجامع ٧٤٠٦]

ففي الطاعة قرن اسم الرسول باسمه بحرف الواو، وفي المشيئة: أمر أن يجعل ذلك بحرف ثم، وذلك لأن طاعة الرسول طاعة لله، بخلاف المشيئة، فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة لله، ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله.

أمثلة من اتباع السلف الصالح لسنة النبي ﷺ:

-لما خلع رسول الله ﷺ نعليه في الصلاة (وذلك عندما أخبره جبريل عليه السلام أن فيهما أذى) خلع الصحابة كلهم نعالهم، فلما انتهى ﷺ سألهم عن خلعهم نعالهم؟ قالوا: رأيناك فعلت ففعلنا.

فبمجرد رؤيتهم النبي ﷺ يفعل فعلوا بدون تفكير مع أنهم لم يعلموا الحكم قبل إخباره إياهم.

وعن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر الأسود ويقول: إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. [متفق عليه]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ. [الإبداع في مضار الابتداع: علي محفوظ]

وكان السلف يشددون النكير على كل من يشعرون أنه خالف السنة أو آثر رأيه عليها حتى كانوا يهجرون لذلك:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها».

فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن. فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبًا سيئًا، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن؟ [مسلم]

-وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه رأى قريبًا له يخذف- أي يرمي حصاة بالسبابة والإبهام- فنهاه، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وقال: إنها لا يصادُ به صيدًا ولا ينكأ به عدوًا ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين، ثم عاد (إلى الخذف مرة ثانية)، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف)، ثم عدت تخذف، لا أكلمك أبدًا. [متفق عليه]

-وقيل لأبي حنيفة: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه، قال: اتركوا قولي بكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي بخبر رسول الله ﷺ، فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال: اتركوا قولي بقولهم.

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلاّ صاحب هذا القبر ﷺ. يعني: رسول الله.

وقال الشافعي: إذا صحَّ الحديث، فاضربوا بقولي عرض الحائط.

وقال أحمد: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا. [صقل الأفهام الجلية: مصطفى سلامة]

وقد اشتد الشافعي على رجل أعرض عن السنة وأراد رأي الشافعي، فعن البخاري قال: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ بكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! تراني على وسطي زنارا أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟

[شرح الطحاوية]

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

عزاء واجب

عظة الموت.. ورحيل الدعاة

إن الموت سنة ماضية في الناس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «يخبر تعالى إخبارًا عامًا، يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] فهو تعالى الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد القهار بالديمومة والبقاء، ولا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة، وفرغت النطفة التي قدّر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية، أقام الله القيامة، وجازى الله الخلائق بأعمالها جليلها وصغيرها، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة».

فلكل أجلٍ كتاب، ولا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه، وهو على كل شيء قدير.

فحريٌ بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، ألا يكون له فكرٌ إلا في الموت، ولا تفكر إلا فيه.

فما أحوجنا أن نقف وقفة متأنية «وقفة مع النفس» نفكر في الموت وسكراته، ونعلم علم اليقين أن الموت آت لا محالة فنراجع أنفسنا ونكفّر عما فات قبل فوات الأوان!!

إنا لله وإنا إليه راجعون

فبالأمس القريب ودعت أنصار السنة اثنين من رجالها كان لهما أثرًا كبيرًا في الدعوة إلى الله، فقد رحل عن دنيانا عصر الأربعاء ٧ محرم ١٤٢٦هـ، الأخ الفاضل الدكتور **الوصيف علي حزة** رئيس فرع الجمالية بالدقهلية ومدير إدارة الدعوة «السابق» بالمركز العام بعد صراع طويل مع المرض، وبعده بأيام قليلة فقدت الجماعة علمًا آخر هو الشيخ **محمود غريب الشربيني** رئيس فرع أنصار السنة بالمنصورة عن عمر يناهز الخامسة والخمسين.

وأعضاء مجلس الإدارة بالمركز العام وأسرة التحرير بمجلة التوحيد يتقدمون بخالص العزاء للأسرتين الكريمتين سائلين المولى عز وجل أن يلهمهما الصبر على فقدهما، وأن يتغمد الفقيدين بالرحمة والمغفرة وأن يعوض الجماعة خيرا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

كلمة التوحيد

مفتاح الجنة

إعداد/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

إنَّ أعظمَ المفاتيح وأنفعَها كلمةُ التوحيد لا إله إلا الله فهي تمام المنَّة ومفتاح الجنة، وهي قوام الأمر ورأس الخير وأساسه، روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله». [المسند: رقم ٢٢١٠٢]، وروى أبو نعيم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أعرابيٌّ: يا رسول الله، ما مفتاح الجنة؟ قال: لا إله إلا الله. [حادي الأرواح ص٩٩].

وهذان الحديثان وإن كان في إسنادهما ضعف إلا أن معناهما حق صحيح لا ريب فيه، يشهد له نصوص كثيرة في الكتاب والسنّة، منها ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا فُتِحَت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

[صحيح مسلم رقم ٢٣٤]

فهذا دليل صحيح صريحٌ على أنَّ أبواب الجنة الثمانية تفتح بالتوحيد تفتح بشهادة أن لا إله إلا الله، وأمَّا مَن لم يأتوا بالتوحيد، فشأنهم كما قال الله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

لكن ينبغي أن يُعلم أنَّ هذا المفتاح العظيم «لا إله إلا الله» ليس ينفع صاحبه إلا إذا قام بحقِّه، فلا إله إلا الله إنما تنفع صاحبها إذا أتى بأركانها والتزم شروطها وأداء حقوقها المعلومة من الكتاب والسنة، ولهذا ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ فقال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلاَّ له أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لَم يُفتح لك.

[صحيح البخاري: ٢/٣٧٧]

يشير بذلك إلى شروط لا إله إلا الله.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيَّته تحت «فصل في مفتاح باب الجنَّة»:

هذا وفتحُ الباب ليس بممكنٍ
إلا بمفتاحٍ على أسنانِ
مفتاحُهُ بشهادةِ الإخلاصِ والتَّـ
ـوحيد تلك شهادةُ الإيمانِ
أسنانه الأعمالُ وهي شرائعُ الـ
إسلامِ والمفتاحُ بالأسنانِ
لا تُلغيَنَّ هذا المثالَ فكمْ بهِ
من حلِّ إشكالٍ لذي عِرفانِ

وقد أشار سلفُنا الصالح رحمهم الله إلى أهمِّيَّة العناية بشروط لا إله إلا الله ووجوب الالتزام بها، وأنها لا تُقبل إلا بذلك، ومن ذلك ما جاء عن الحسن البصري رحمه الله: أنه قيل له: إنَّ ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال لا إله إلا الله فأدَّى حقها وفرضَها دخل الجنة.

وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: «ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فقال الحسن: نِعمَ العُدَّة، لكن للا إله إلا الله شروطًا فإياك وقذف المحصنات».

[كلمة الإخلاص ص١٤]

وتقدَّم قول وهب رحمه الله.

ثم إنَّه باستقراء أهل العلم لنصوص الكتاب والسنة تبيَّن أنَّ لا إله إلا الله لا تُقبل إلا بسبعة شروط وهي:

١- العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل.
٢- اليقين المنافي للشك والريب.
٣- الإخلاص المنافي للشرك والرياء.
٤- الصدق المنافي للكذب.
٥- المحبة المنافية للبغض والكره.
٦- الانقياد المنافي للترك.
٧- القبول المنافي للردّ.

وقد جمعَ أهل العلم هذه الشروط السبعة في بيتٍ واحدٍ فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك معْ
محبةٍ وانقيادٍ والقَبولُ لها

ولنقِف وقفةً مختصرة مع هذه الشروط لبيان المراد بكلٍّ واحدٍ منها، مع ذِكر بعض أدلَّتها من

الكتاب والسنة.

أما الشرط الأول : وهو العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل ، وذلك بأن يعلم من قالها أنَّها تنفي جميع أنواع العبادة عن كلّ من سوى الله ، وتثبت ذلك لله وحده ، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي نعبدك ولا نعبد غيرك ، ونستعين بك ولا نستعين بسواك .

قال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩]، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ، قال المفسرون : إلا من شهد بـ «لا إله إلا الله» ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : معنى ما شهدوا به في قلوبهم وألسنتهم .

وثبت في صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلا الله دخل الجنة». [صحيح مسلم: ح٢٦]، فاشترط عليه الصلاة والسلام العلمَ.

وأما الشرط الثاني : فهو اليقين المنافي للشك والريب ، أي أن يكون قائلها موقنًا بها يقينًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب ، واليقين هو تمام العلم وكماله ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] ، ومعنى قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ أي : أيقنوا ولم يشكّوا.

وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة». [صحيح مسلم: ٢٧].

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشّره بالجنة»، فاشترط اليقين .

والشرط الثالث : هو الإخلاص المنافي للشرك والرياء ، وذلك إنّما يكون بتصفية العمل وتنقيته من جميع الشوائب الظاهرة والخفيّة ، وذلك بإخلاص النية في جميع العبادات لله وحده، قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «أسعدُ الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه». فاشترط الإخلاص .

والشرط الرابع : هو الصدق المنافي للكذب، وذلك بأن يقول العبد هذه الكلمة صادقًا من قلبه، والصدق هو أن يواطئ القلبُ اللسانَ ، ولذا قال الله تعالى في ذم المنافقين : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأن ما قالوه بألسنتهم لم يكن موجودًا في قلوبهم ، وقال سبحانه : ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]، وثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله صادقًا من قلبه إلا حرّمه الله على النار». [البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٢]، فاشترط الصدق.

الشرط الخامس : المحبّة المنافية للبغض والكره، وذلك بأن يحب قائلُها اللهَ ورسولَه ودينَ الإسلام والمسلمين القائمين بأوامر الله الواقفين عند حدوده ، وأن يُبغض من خالف لا إله إلا الله وأتى بما يُناقضها من شرك وكفر ، ومما يدل على اشتراط المحبة في الإيمان قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، وفي الحديث : «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله». [الصحيحة: ١٧٢٨]

والشرط السادس : القبول المنافي للردّ ، فلا بدّ من قبول هذه الكلمة قبولاً حقًا بالقلب واللسان، وقد قصّ الله علينا في القرآن الكريم أنباء من سبق ممّن أنجاهم لقبولهم لا إله إلا الله، وانتقامه وإهلاكه لمن ردّها ولم يقبلها، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:١٠٣]، وقال سبحانه في شأن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]

الشرط السابع : الانقياد المنافي للترك ؛ إذ لابد لقائل لا إله إلا الله أن ينقاد لشرع الله ، ويُذعنَ لحكمه ويسلمَ وجهه إلى الله إذ بذلك يكون متمسكًا بـ «لا إله إلا الله» ، ولذا يقول تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي فقد استمسك بـ «لا إله إلا الله»، فاشترط سبحانه الانقياد لشرع الله ، وذلك بإسلام الوجه له سبحانه .

فهذه هي شروط لا إله إلا الله ، وليس المرادُ منها عدَّ ألفاظها وحفظَها فقط ، فكم من عاميٍّ اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له : اعددها لم يُحسن ذلك ، وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، فالمطلوب إذًا العلم والعمل معًا ليكون المرء بذلك من أهل لا إله إلا الله صدقًا ، ومن أهل كلمة التوحيد حقًّا .

والحمد لله رب العالمين

عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري

إعداد/ حسن عبد الوهاب البنا

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فالإمام أبو الحسن، تعمق في اعتزاله الناس باحثًا عما يهدي الله به قلبه، فهداه الله تعالى بأن آواه الله إليه فكتب كتابه الإبانة وبيَّن فيه أصول الديانة فرجع إلى أصول أهل السنة وتبرأ إلى الله من أهل البدعة.

ومما يؤسف له أن أكثر المسلمين انتسبوا لأشعريته ولم يأخذوا برجعته الأبيَّة وسمّوا أنفسهم أشعرية (تلطيفًا من المعتزلة- فقد كان إمامهم في أول أمره معتزليًا)، واعتبروا أنفسهم أهل السنة وغيرهم مشبهة ومجسمة، فهلا راجعوا ما انتهى إليه أبو الحسن بعد رجعته وإبانته، فالله أنقذه من دوامته الاعتزالية البدعية وأحيا به الأصول السنيّة فكان في ذلك فتحًا لأهل السنة وقمعًا لأهل البدعة.

وفي مقالات الإسلاميين ثبت الأصول ودعم عقيدة الفرقة الناجية، وفي كتابه الموجز أحيا السنة وهدم البدعة، وضرب مثلاً طيبًا في مقاومة التعصب البغيض بغير دليل صحيح، فعارض أستاذه شيخ الاعتزال عبد الوهاب أبا علي الجبائي، فكان مثلاً يقتدى به في التحرر من قيود التقليد والتعصب المذهبي غير المحمود بلا دليل صحيح.

فهلا رجع الجامدون على القديم بعدما نسخه الأشعرية باتباع الكتاب والسنة على مذهب سلف الأمة، وتبعه أئمة كالرازي في أقسام اللذات، والغزالي في إلجام العوام عن علم الكلام، وابن فورك والباقلاني والجويني رحمهم الله، وفي ذلك إفحام للذين يصرون على الانتساب إلى مؤلفات هؤلاء قبل توبتهم تقليدًا لهم لا اتباعًا للكتاب والسنة على مذهب سلف الأمة.

وفي الخطط والآثار للمقريزي أن الصحابة رضي الله عنهم حجتهم في إثبات الصفات الإلهية الكتاب والسنة وما عرف أحد منهم الطرق الكلامية.

وقال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بعد المؤسس الشيخ محمد حامد الفقي رحمهما الله: إن من أشد البدع فتنة وفتكًا باليقين بدعة «علم الكلام» وزعم أهله أنه يمثل أعظم القيم الفكرية، وأنه علم التوحيد وأصول الدين وأنه أصل الكتاب والسنة وأن تعلمه فرض على كل مسلم، ومن لم يؤمن عن طريقه فليس بمؤمن، وقد شقوا الأمة إلى سلف وخلف، وقالوا السلف أسلم، والخلف أعلم، وجعلوا هذا من أصولهم، وهم يدينون بأن علم الكلام أسمى من كلام الله وأحكم.

وقال ابن تيمية رحمه الله كما جاء في (ص٤٣، ٤٤) من كتاب الصفات الإلهية: كثير من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الإيمان، الذي جاء به الرسول ﷺ بخلاف السلف، فلهذا كان السلف أكمل علمًا وإيمانًا، وخطؤهم أخف، وصوابهم أكثر وكان الأصل الذي أسسوه هو ما أمرهم الله به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وذكر ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ما قاله

الشافعي رحمه الله عن المتكلمين «ما تردى أحد في الكلام فأفلح، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام»[1].

وقال الغزالي في «المنقذ من الضلال»: لم يكن الكلام في حقي كافيًا ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيًا، لم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق.

وقال ابن رشد في مناهج الأدلة (ص١٨): وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصودة من الشرع إذا تاولت وجدت ليس عليها برهان.

وقال ابن فرحون في «الديباج»: حيث أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم.

وقد أثنى علي أبي حسن الأشعري (بعد توبته من الاعتزال) أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره من أئمة المسلمين»[2].

وفي كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام أبي الحسن الأشعري ذكر قول الله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧]، فكذب فرعون نبي الله موسى عليه السلام في قوله إن الله عز وجل فوق السماوات إلى غير ذلك من الأدلة من القرآن الكريم والتي تثبت ذلك كما ذكر حديث الجارية الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وبأن النبي ﷺ أمر وليها بأن يعتقها قائلاً له: «اعتقها فإنها مؤمنة».

كما رفض الإمام الأشعري تأويلات المؤولين للاستواء بالاستيلاء أو الملك والقهر ومنهم الإمام الجويني (إمام الحرمين) (في الإرشاد) والرازي في كل كتبه (وذلك قبل توبتهما).

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان فلزمهم أنه في الحشوش، والأخلية وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم[3].

كما أثبت عقيدته في الوجه واليدين بآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية صحيحة في كتاب الإبانة المطبوع سنة ١٣٤٨هـ بالمطبعة المنيرية من ص٧- ٤١ وذكر كذلك ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» ص١٥٢- ١٦٣ مطبوع عام ١٣٤٧هـ.

وقال ابن تيمية عن كتاب الإبانة: وقد ذكر أصحابه- أي أصحاب الأشعري- أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذي عنه عند من يطعن عليه (ص٤٤٨ ج١ مجموعة الرسائل الكبرى) وذكر ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص١٢٩- ١٣١) بأن الأشعري رجع عن مذهب الاعتزال ونقضه.

ثم ذكر الأشعري في كتاب المقالات بابًا بعنوان «هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة»، ذكر فيه عقيدته السلفية بالأدلة النقلية من القرآن والسنة. انتهى.

ولا عجب أن يقول البعض عن أنصار السنة المحمدية إنهم مجسمون وقد اعتنقوا عقيدة أهل السنة التي دان بها الأشعري بعد أن نفض يديه من عقيدة الاعتزال[4].

وقد سجل الباقلاني عن الأشعري انه سلفي العقيدة في كتبه «التمهيد» و«الإبانة» و«الحيرة» إجمالاً وتفصيلاً بالأدلة كما رجع الإمام الجويني (إمام الحرمين) عن أشعريته المنسوخة والتي ضمنها كتابه «الإرشاد» فحرّم التأويل ومجدّ السلف وكل ذلك في آخر كتاب له وهو «العقيدة النظامية».

وبعد، أما أن لكل ذي لب أن يراجع عقيدته ويطرح عن قلبه ونفسه الأشعرية المنسوخة ويأخذ بعقيدة أهل السنة والجماعة والتي دان بها الأشعري بعد تعمقه في الاعتزال ونزع ربقة التقليد من قلبه وحاج أستاذه السابق زوج أمه الجبائي شيخ الاعتزال وقتئذ.

ونحن نهيب بأنفسنا وإخواننا الذين هداهم الله لعقيدة أهل السنة والجماعة (عقيدة ومنهاجًا) أن يسألوا الله تعالى أن يثبتهم عليها وأن يوفقهم للإيمان بها والعمل بمقتضاها والدعوة إليها مع الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

هذا، والله من وراء القصد وبالله التوفيق وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) الصفات الإلهية بين السلف والخلف (ص١٧، ٢٠، ٣١).

(٢) (ص٤٦٨) في مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية.

(٣) ذكره فضيلة الشيخ حماد محمد الأنصاري أستاذ الحديث بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية رحمه الله في كتابه أبو الحسن الأشعري (ص٧).

(٤) الصفات الإلهية بين السلف والخلف للشيخ عبد الرحمن الوكيل.

هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئين

الحلقة الأولى

إعداد/ محمد فتحي عبد العزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ».

[المشكاة: ٢٣٤١، حديث حسن]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »

[صحيح مسلم (٢١٠٦/٤)]

إن من ألَمَّ بذنب فليستغفر الله وليتب إليه، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك في الإصرار عليها.

إذا تقرر هذا، وأن الخطأ يقع من جميع بني آدم، الذين عصمهم الله تعالى عن الكبائر عدا الأنبياء والمرسلين، كان لابد من فقهٍ شرعي للتعامل مع المخطئين والمذنبين؛ وخاصةً من عباد الله الموحدِّين.

ومن رحمة الله بعباده أن منَّ على المؤمنين؛ بإرسال النبي الأمين ﷺ، وأجرى أموراً بقدره على أيدي الصحابة الأطهار أصحاب محمد ﷺ الذين كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، فعالج النبي ﷺ هذه الأمور والتي هي من أخطأ بني آدم بحكمته ورحمته؛ لتتعلم الأمة فقه التعامل مع المخطئين والمذنبين، فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها». [مسلم: ١٧٨٩/٤]

وهذا مثل لاجتهاده عليه الصلاة والسلام في نجاتنا، وحرصه على تخليصنا من العيوب والذنوب، فهو أولى بنا من أنفسنا ﷺ.

وقد وقع في عهده ﷺ كثير من الزلات والخطيئات، فعالجها برحمته، ليعلِّم الأمة كلها أنَّ الدنيا لا تقف عند زلَّة، ولا تنتهي بمجرد خطيئة، وليعلم المتعجلون كيف يكون التمهل والروية في إطلاق الأحكام وقبول الأعذار من عباد الله، مهما كان حجم الخطأ وعظم الزلَّة.

هديه ﷺ في تعامل مع الأخبار

أولاً: عدم البحث عن الزلات والعثرات؛ إن من الأخلاق الفاضلة القويمة، والمنهج النبوي السديد؛ أن لا يبحث المرء عن سرائر الناس؛ يبتغي بذلك الظهور على عيوبهم، فإن البحث عن الزلات، والتماس العثرات؛ ناشئ عن مرض في القلب، وفساد في النية، وهذا هو التجسس الذي نهى الله عنه، قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا.......﴾ [الحجرات: ١٢]

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداءً ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي ﷺ عن ذلك. اهـ.

ومن ذلك ما قاله عبد الرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا فانصرف عمر وتركهم. [المصدر السابق]

قال ابن حجر: فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان أبحث لأتحقق قيل له: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. [فتح الباري: ٤٨١/١٠]

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ قال: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله.

قال البيهقي: نهى الله عن التجسس وهو تتبع أحوال العبد في خلواته وجوف داره والتعرض لها فإن ذلك إذا بلغه ساءه وشق عليه فكان التعرض له من باب الأذى الذي لا موجب له ولا مرخص فيه. [شعب الإيمان ٢٩٥/٥]

وكما نهى الله عن التجسس فإن النبي ﷺ حذر منه وتوعد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا ». [البخاري ٢٢٥٣/٥]

قال ابن عبد البر: وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: ولا تجسسوا ولا تحسسوا فهما لفظتان معناهما واحد وهو البحث والتطلب لمعايب الناس ومساويهم إذا غابت واستترت لم يحل لأحد أن يسأل عنها ولا يكشف عن خبرها. [التمهيد لابن عبد البر: ٢١/١٨]

عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته ».

[حسن. «المشكاة» ٥٠٤٤]

قال ابن رجب: وقد روي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قوما لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبا، وأدركت قوما كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم. [جامع العلوم والحكم: ١/ ٣٤٠]

وبالجملة فإنه ينبغي للعبد عدم البحث والتنقيب والسؤال عما لا يعنيه، قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ....﴾ [المائدة: ١٠١]

قال ابن كثير: وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض عنها وتركها.

فليحذر الذين يخوضون في أعراض عباد الله ويتتبعون عوراتهم، ولو زيّن لهم الشيطان أعمالهم أنهم لا يقصدون من وراء ذلك إلا النُصح لعباد الله، وتحذير الأمة؛ فهذا من تلبيس الشيطان.

ثانيا: الحلم والأناة: إذا صفا قلب العبد نحو إخوانه وأحسن الظن بهم، ولم يتلمس عيوبهم، أو يبحث عن زلاتهم، ثم جاءه خبر من الأخبار، يجر إلى خطر من الأخطار، ويعكر صفو الأخيار، أو يهدد الأمن والاستقرار، فينبغي للعبد أن يتخلق بخلق الأناة والتؤدة، وأن يحذر من التسرع والعجلة، فالعجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك من كيد الشيطان ووسوسته وهو موقع في المهالك.

ويشهد له ما أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة ».

قال ابن القيم: ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها وتجلب عليه أنواعا من الشرور وتمنعه أنواعا من الخير وهي قرين الندامة فقل من استعجل ولم يندم.

وما حادثة حاطب بن أبي بلتعة إلا خير شاهد وأقوى دليل.

فإنه لما أرسل حاطب رسالة إلى قريش يعلمهم فيها بمسير رسول الله ﷺ إليهم لم يستعجل ﷺ في الحكم عليه بالرغم من ثبوت الخطأ عنده موثقًا بالوحي من الله عز وجل بل أرسل إليه وقال له كما عند مسلم: يا حاطب ما هذا؟!! قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت أمرءًا ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسهم وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال النبي ﷺ: صدق.

وقد ورد أن رجلاً سبّ ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا.

ثالثا: التبين والتثبت: إن ترك الألسنة تلقي التهم جزافاً دون بينة أو دليل؛ تجعل المجال فسيحاً أمام من شاء ليقول ما يشاء؛ في أي وقت شاء، ثم يمضي آمناً مطمئناً، وتصبح الجماعة المسلمة وتمسي؛ وإذ بسمعة أبنائها ملوثة، وأعراضهم ملطخة، وهذه حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق؛ لذا جاء الأمر من الله تعالى بوجوب التثبت والتيقن من صحة الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام؛ دون بينة أو برهان؛ فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]

قال الشافعي رحمه الله تعالى: فأمر الله من يمضي أمره على أحد من عباده أن يكون مستبينا قبل أن يمضيه، ثم أمر رسول الله ﷺ في الحكم خاصة أن لا يحكم الحاكم وهو غضبان لأن الغضب مخوف في أمرين: أحدهما: قلة التثبت، والآخر: أن الغضب قد يتغير معه العقل ويقدم به صاحبه على ما لم يكن يقدم عليه لو لم يكن غضب.

فكل خبر من الأخبار يحتمل ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والوهم والكذب وغير ذلك إلا خبرا صادقاً عن الله ورسوله.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (قال لي النبي ﷺ: ألم أُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار، قلت: إني أفعل ذلك، قال: فإنك إذا فعلت ذلك هجت عينك ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقًا ولأهلك حقًا، فصم وأفطر وقم ونم). [البخاري: ١١٥٣]

قال ابن حجر: الحكم لا ينبغي إلا بعد التثبت لأنه ﷺ لم يكتف بما نقل له عن عبد الله حتى لقيه واستثبته فيه لاحتمال أن يكون قال ذلك بغير عزم أو علقه بشرط لم يطلع عليه الناقل ونحو ذلك.

ولقد كان من هديه ﷺ التثبت من الأخبار حتى مع غير المسلمين فهذه زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري التي سمت الذراع يوم خيبر فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال ﷺ ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبيا لم يضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكنه قتلها ﷺ بعد ذلك لما مات بشر بن البراء من أثر السم.

فانظر رحمني الله وإياك إلى هديه ﷺ في التثبت من الأخبار، ومعرفة الدواعي والأسرار حتى مع الكفار الأشرار، فكيف إذا كان الخبر في حق الأخيار الأطهار.

وإلى لقاء إن شاء الله.



ندعوك أخي المسلم للمشاركة في نشر العقيدة الصحيحة والعلم النافع عسى الله أن يهدي بك بعض خلقه، قال صلى الله عليه وسلم: « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمْر النَّعم».

يمكنك المشاركة بدعم مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل: السنة الكاملة ٢٠ جنيهًا مصريًا أو ١٥ ريالاً، و ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً قيمة الاشتراك الخارجي، لتوزع مجانًا لطالب علم، أو معلم، أو واعظ ينفع الله به مجتمعه.

ويمكنك المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة.

ونسأل الله التوفيق للجميع